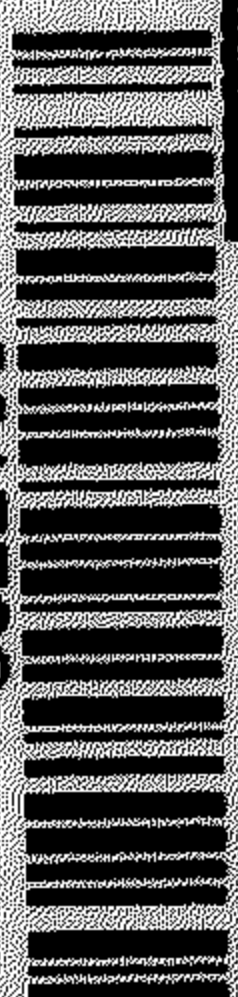


مناخ الكنيسة

الجزء الثاني



Bibliotheca Alexandrina



0015708

الجزء الثاني

تاريخ الكنيسة

چون لوريمر



صدر من دار الثقافة المسيحية ص. ب ١٣٠٤ - القاهرة
جميع حقوق الطبع محفوظة للدار (فلا يجوز ان يستخدم اقتباس
او اعادة نشر او طبع بارونيو للكتاب او اى جزء منه بدون ان النشر
والنشر وحده حق اعادة الطبع) ١٠/٤١٣ ط ٨٥/ (١) هـ
رقم الايداع بدار الكتب ٨٥/٥٤٣٣
طبع بمطبعة دار الجيل للطباعة ٦

مقدمـة



فى هذا الجزء الثانى من تاريخ الكنيسة المسيحية نواصل دراسة تاريخ القرن الثالث حتى بداية عصر قسطنطين ويود المؤلف مرة أخرى ان يقدم خالص شكره الى الدكتورـه مرثا روى لأجل دراستها المتأنية ونصائحها ، والى مسز لوريمر لأجل كتابة المخطوطة على الآلة الكاتبة ، والى الدكتور فهميم عزيز لنقل النص الى اللغة العربية .

محتويات الكتاب

الصفحة

اولا : النصف الاول من القرن الثالث

أ - الكنائس المسيحية فى خارج الامبراطورية :

١ - كنيسة مابين النهرين : ١٥

المسيحيون العرب - التراسل بين الملك أبجر ويسوع • المسيحيون
يقدمون عبادتهم في أديسا - الكتابات السريانية - تاتيان - الدياتسرون -
بارديسان الشهداء العرب •

٢ - المسيحية فى جنوب العربية : ١٨

استشهاد المسيحيين فى اليمن - فيليب الاول الامبراطور المسيحى
العربى •

٣ - الكنيسة فى أرمينية : ٢٠

ابتداء المسيحية فى أرمينية - الملك تردات والقديس غريغوريوس •

٤ - الكنيسة فى بارتيا وفارس : ٢٢

باكيدا أول مسيحى - سمسون أول شهيد - راكباخت الحاكم المسيحى -
أساقفة فى بارتيا •

٥ - المسيحيون تحت حكم الساسانيين (Sassanids) : ٢٣

فارس تغزو بارتيا - الامبراطور قسطنطين يطلب حماية المسيحيين فى بلاد
فارس - الاضطهاد العظيم الذى وقع على المسيحيين فى فارس •

٦ - الكنيسة فى الحبشة : ٢٤

التاريخ المبكر للحبشة - الحبشة أقدم بلد مسيحية - روفينوس المؤرخ -
أديسيوس فرومنتيوس - الملك ايزانا •

٧ - الكنيسة فى الهند : ٢٦

القديس توما والهند – شواهد على وجود المسيحية في الهند • توما
التاجر – كوما سالا سكندري •

ب – المسيحية في شمال افريقيا : ٢٩
المجتمع المسيحي الاول في قرطاجنة – الامبراطور سبتموس سيفروس
(Severus) – الاضطهاد الاول الذي عم العالم كله – سفروس يتحبيب الى
المسيحيين •

١ – ترتليان : ٣١
حياة ترتليان – ترتليان الكاتب – ترتليان أبو الفكر اللاهوتي الديني –
ترتليان يوضح علم اللاهوت – فكر ترتليان اللاهوتي الاساسي – عقيدة
ترتليان في المسيح – عقيدة الخضوع – ما كتبه عن الاخلاق – دفاعه عن
الكنيسة ضد الدولة – دماء الشهداء بدار الكنيسة – المسيحيون في كل مكان
– المسيحيون مواطنون صالحون – ترتليان يصبح مونتانيا – الفكر الاخلاقي
المونتاني عند ترتليان •

ج – مشاكل أخلاقية تواجه المسيحيين في القرنين الثاني والثالث : ٣٩
المسيحيون يعيشون كنزلاء في الارض – يجربون في المدن – أحكام يتبعها
المسيحيون – المسيحيون يعارضون الحرب والاقتتال – الحرب شيء لا بد منه
حتى للمسيحيين – الخدمة العسكرية كعبادة وثن – ترتليان يعلن معارضته
للخدمة العسكرية – عسكري شهيد – سيلسوس ينتقد المسيحيين – رد
أوريجانوس عليه •

د – الصراع بين عقيدة المسيح الكلمة واللاهوت الملكي : ٤٥
العلاقة بين الله الاب والمسيح الابن – عقيدة المسيح الكلمة – الخضوع •
١ – علم اللاهوت الملكي : ٤٦
الملكية الديناميكية – بولس الساموساتي – الملكية الشكلية – رفض الملكية
الشكلية •

هـ - المسيحية فى الاسكندرية :

الاسكندرية مركز الحياة المسيحية - المدرسة اللاهوتية.

١ - أكليمندس : ٤٩

حياته - ربطه الفلسفة بعلم اللاهوت - موقفه من الفلسفة - قيمة الفلسفة -
المتوازيات الفلسفية - غنوسية المسيحية - تأثير الافلاطونية - مكان
الايمان - عقيدته بالمسيح الكلمة - موقفه من الكتب المقدسة - موقفه من
الصلاة - موقفه من الاستشهاد - الكنيسة العامة - ربطه الفكر السامى بالفكر
الهلينى .

٢ - أوريجانوس :

أ - حياة أوريجانوس : ٥٧

حياته المبكرة - أوريجانوس المعلم - معلمو أوريجانوس -
طريقته فى التعليم - جورجىوس (غريغورى) يمتدح أوريجانوس -
أوريجانوس فى العربية - وفى قيصرية - طرد ديمتريوس له -
أوريجانوس والامبراطورة - تعذيب أوريجانوس وموته .

ب - أوريجانوس الكاتب ومفسر الكتب المقدسة : ٦٠

المبادئ أو " دى برنسيبيسى " - معرفة أوريجانوس بالكتب
المقدسة - الهكسابلا - التفسير المثلث للكتب المقدسة - الفهم
المتطور للكتب المقدسة - الطريقة المجازية - نظرة أوريجانوس
الى المسيح - نظره الى التقليد .

ج - الفكر اللاهوتى لاوريجانوس : ٦٥

استخدم الاداب الغير المسيحية - عقيدة الله - الله خلق
العالم لصالح البشر - الخلاص العام - سياحة الروح - فكر
أوريجانوس عن المسيح - المسيح كوسيط - التثليث والروح
القدس .

د - عظمة ما اهتم به أوريجانوس : ٦٨

الكنيسة تصبح مركزا للعلم والمعرفة - الكنيسة العامة .

٣ - الاسقف ديمتريوس : ٦٩

٤ - ديونيسيوس الكبير فى الاسكندرية : ٧٠

حياة ديونيسيوس - كتاباته - ديونيسيوس ينشر السلام - فكرة اللاهوت -
روما والاسكندرية - ديونيسيوس الراعى *

و- الاضطهاد الذى حدث فى عهد ديسيوس وفالريان (- Decius Valerian) : ٧٤
الاضطهاد العام الذى وقع على المسيحيين - أسباب الاضطهاد الذى شهده
ديسيان - بدء هذا الاضطهاد - مسيحي يستسلم - شهادات الذبائح - قادة
الكنيسة يستشهدون - فالريان يتوعد الى المسيحيين - التأثير على فالريان
ليبدأ اضطهاده - القرار الاول الذى أعلنه فالريان - القرار الثانى يتبعه
اضطهاد أشد قوة - خطاب جالينيوس الى أساقفة الاسكندرية - الامبراطور
يعترف بالديانة المسيحية *

ز- 'سيبريان (Cyprian) : ٨٠
حياته الاولى - انتخابه أسقفا - وقوعه تحت الاضطهاد - لا خلاص خارج
الكنيسة - السلطان الاسقفى فرائض يمارسها الهراطقة - الاسقف اسطفانوس
يعارض سيبريان - سيبريان يعارض سيادة اسقف روما - الكنيسة والاخلاق -
قبول الاعضاء الدين اتهموا بالاتداد - سيبريان يتغلب على نوفاتيان - هل
الكنيسة للجميع أم لاقلية مختاره - استشهاد سيبريان *

ثانيا : النصف الثانى من القرن الثالث وابتداء عصر قسطنطين :

أ- الحالة فى الامبراطورية : ٨٩
متاعب اقتصادية فى الامبراطورية - عصر الانحلال الخلقى - وانحلال
الديانة - المسيحيون فى المجتمع - نوعية الحياة المسيحية - نجاح
الكنيسة - المسيحيون يختارون للوظائف العامة - الفرقة الطيبية والقديس
مارتيوس (Maritius) *

ب- تطور النظم الكنسية : ٩٢
الكهنة والعلمانيون - الاساقفة والشيوخ والشمامسة - النساء فى الكنيسة -
نمو أهمية الاساقفة *

- جـ - المعمار والفن الكنسي : ٩٤
- المسيحيون يبنون الكنائس - ديورا اوروباس (Dura - Europos) -
الفن المسيحي •
- د - النظم والعبادة فى الكنيسة : ٩٥
- الاعضاء الجدد فى الكنيسة - المعمودية - مغفرة الخطايا - مستويان
أخلاقيان - عشاء الرب - يوم الرب •
- هـ - بولس الساموساتى : ١٠١
- عدم الاتفاق بين الاسكندرية وانطاكية - وصف المعارضون بولس
الساموساتى - الامبراطور يستشير الكنيسة - فكر بولس عن المسيح - عقيدته
فى التبني (adoptionism) التعبير (homoousion) - مناقشة حادة
فى الكنيسة •
- و - الحركات الفلسفية والدينية خارج الكنيسة :
- ١ - الافلاطونية الجديدة - بلونينوس وبورفيرى يهاجمان المسيحية • ١٠٤
- ٢ - المترائية (mithraism) ١٠٥
- ٣ - المانية (manichaeism) - حياة مانى عقائد المانية - المانية فى
مصر ١٠٦
- ز - الاضطهادات التى قام بها دقلديانوس :
- ١ - الموقف فى الامبراطورية : ١٠٩
- عدم الاستقرار السياسى والاقتصادى - الكنيسة تنمو عددا وتأثيرا -
اصلاحات دقلديانوس •
- ٢ - أسباب الاضطهاد : ١١٠
- دوافع دقلديانوس •
- ٣ - ابتداء الاضطهاد الكبير : ١١١

ابادة كنيسة - سجن قادة الكنائس - الاعدام بالجملة - أقسى
الاضطهادات فى الشرق - ابادة الكتب المقدسة .

٤ - الموجة الثانية من الاضطهاد : ١١٣
مكسيميانوس واضطهاده المنظم - يوسابينوس يشهد الاضطهاد فى مصر -
شهداء مصر - ازدياد شجاعة الشهداء - تعاطف العامة مع المسيحيين - مرض
جاليريوس - بدء تسامح جاليريوس الدينى - تخفيف الاضطهاد - المحاولة
الاخيرة اليائسة .

ح - قسطنطين ونهاية الاضطهاد : ١١٧
انتصارات قسطنطين - قنطرة ميليفن نقطة فاصلة - رواية يوسابينوس عن
رؤية قسطنطين للمسيح - قسطنطين ينتصر فى المعركة - لوسينيوس ينتصر
على مكسيميان - مرسوم ميلان - لماذا فشل الاضطهاد - عصر جديد
للمسيحيين .

ط - الحركات الانفصالية فى شمال افريقيا ومصر : ١٢٢
١ - الدوناتيون - تسليم الكتب للاعداء - نوميديا ضد قرطاجنة - تدخل
قسطنطين - قسطنطين يساند كسيليان - قيادة دوناتس - محاولة المعتدلين
لحل المشكلة - رفع القضية الى قسطنطين - قرار الامبراطور - الدوناتيون
يصمدون للاضطهاد - الدوناتيون كمصلحين دينيين وسياسيين - الدوناتية
الكنيسة الوحيدة فى شمال افريقيا : ١٢٢
٢ - الميلتيون فى مصر - بطرس وميلتيس يتعارضان - ميلتيس يؤسس " كنيسة
الشهداء " - آريوس - الكنيسة الميلتية تنمو ثم تندثر : ١٢٨

ى - حركة الرهبنة : ١٣٠
١ - الزهد فى الديانات الاخرى ١٣٠
٢ - الزهد فى مصر ١٣٠
٣ - الزهد فى اليهودية ١٣١
٤ - نظرة يسوع الى الزهد ١٣٢

- ٥ - نظرة بولس الى الزهد ١٣٢
- ٦ - الزهد مفضل ولكنه ليس وصية بحسب العهد الجديد ١٣٣
- ٧ - الرهبنة الاولى فى المسيحية ١٣٣
- ٨ - أسباب الرهبنة المتأخرة - الضرائب الرومانية - الاستشهاد
الابيض ١٣٤
- عدم الرضى عن الكنيسة - الزهد كشخص منفصل - الرياضة الروحية -
الزهد الغنوسى .
- ٩ - أنطونيوس أبو الرهبنة المصرية ١٣٦
- بولس الطيبى قبل أنطونيوس - قصة جيروم عن بولس - أنطونيوس يعلم
بأمر بولس - أنطونيوس وبولس معا - موت بولس - قصة أثناسيوس عن
أنطونيوس - أنطونيوس - أنطونيوس يبيع كل شئ - تجربة أنطونيوس
الاولى - أنطونيوس يذهب الى الصحراء - هجوم الشيطان على أنطونيوس -
حياة أنطونيوس فى حصن رومانى طيلة ٢٠ سنة - أنطونيوس يرحب بالزوار -
أنطونيوس يقبل تلاميذ - أنطونيوس ينتقل الى القلزم - الملائكة تبارك
أنطونيوس - موت أنطونيوس .
- ١٠ - نساك بوادى النطرون : ١٤١
- ١١ - مكاريوس - مكاريوس الناسك المثالى - انفصاله عن العالم - تقشفه
البالغ - دهابه الى طيبانيزى (Tabbanisi) ١٤٢
- ١٢ - منطق الرهبنة : ١٤٤
- آلام وبركة - الرهبان والشيطان - الرهبان والملائكة - الرهبان
والحيوانات - الرهبان يقومون بالمعجزات - طبيعة الرهبان الفائقة
الطبيعة - انكار الدات عند الراهب - الرهبان والكبرياء الروحية - الرهبان
يساعدون الاخرين .
- ١٣ - باخوميوس والرهبنة السنوبية (Cenobite monasticism) : ١٤٧
- الجماعات الرهبانية - مجتمع آمون - حياة باخوميوس المبكرة - النظام
الباخومى - الالتحاق بالدير - حياة الرهبان وملبسهم - العمل اليدوى -
العبادة - الساعات المحددة للصلاة - العقوبات - انتشار الاديرة فى طيبه -
الاديرة تملأ مصر - الاديرة تساند الكنيسة فى كفاحها ضد
الهرطقات .

النصف الأول
من
القرن الثالث

(أ) الكنائس المسيحية خارج حدود الامبراطورية

قبل أن نستعرض فى دراسة التاريخ العام للكنيسة المسيحية يجب أن نلاحظ أن رسالة المسيح وصلت أمكنة أخرى أقل شهرة من البلاد الواقعة فى حدود الامبراطورية الرومانية ، وقبلتها الشعوب وآمنت بها وتأسست فيها الكنائس . أما سفر الأعمال فقد اقتصر على ذكر تأسيس الكنيسة فى آسيا الصغرى واليونان وإيطاليا . ولكن وجدت كنائس أخرى تطلق على نفسها أسماء الكنيسة الأرمنية والآشورية والكلدانية وما رتوما . الخ مما يدل على أنها بدأت فى عصور مبكرة جدا ومما يدل على ذلك أن سفر الأعمال (٢ : ٩) يذكر أنه فى يوم الخمسين كان هناك أناس من الفريسيين والمادييين والعيلاميين وسكان ما بين النهرين . والى جانب ذلك فقد ذكر التقليد أن كل واحد من التلاميذ ذهب الى أمة خاصة لبشرها فذهب أندراوس الى سكيثيا وأخائية ، ومتى الى الحبشة ، ويعقوب الى أسبانيا ، وتداوس الى اديسا ، وييلبس الى بلاد فارس ، وتوما الى الهند . ومع أن الشواهد على ذلك غير مترابطة وأحيانا متناقضة ، الا أنه يجدر بنا أن نعرف ماتقوله كل كنيسة من هذه الكنائس عن أصلها وكيف ظهرت فى الوجود .

١ - الكنيسة فيما بين النهرين

المسيحيون العرب :

كانت الأرامية هى اللغة التى يتكلمها سكان فلسطين (وهى لغة يسوع) أما سكان ما بين النهرين (سوريا والعراق) فكانت لغتهم السريانية وهاتان اللغتان أختان للغة العربية وكانت العربية فى عصر العهد الجديد تشمل الهلال الخصيب . وكان العرب بين الحاضرين فى يوم الخمسين (أع ٢ : ١٠) ويبدو أن شاول الطرسوسى بعد أن ظهر له السيد على طريق

دمشق وذهب الى العربية (غل ١ : ١٧) كان يقصد أنه ذهب الى الصحراء السورية شرقي دمشق ، بل لعله وجد جماعة من المسيحيين العرب ، فعاش بينهم في عزلة الاختيارية ، فاذا كنا لانفهم الكنيسة العربية بهذا الشكل ، فلا يمكن أن ننكر أنه كانت هناك جماعة من العرب المسيحيين •

الرسائل التي كانت بين الملك أبجر ويسوع :

كانت اديسا عاصمة مملكة أوسرين (Osrhoene) تقع على شاطئ نهر الفرات ويذكر المؤرخ يوسابيوس أنه زار هذه المدينة في القرن الرابع الميلادي ، واكتشف الرسائل التي كانت بين أبجر ملك اديسا ويسوع • فقد كتب الملك يقول :

" لقد سمعت عنك أنك تشفى بدون أعشاب أو دواء ، فتعطي البصر للاعمى وتجعل الاعرج يمشى والابرص يطهر • انى أتوسل اليك أن تأتي وتشفينى • وقد سمعت أيضا أن اليهود يريدون بك الشر فمدينتى هذه مع أنها صغيرة ولكنها دولة منظمة وراقية وهى تكفى لك ولى " • فكتب له يسوع قائلا :

" طوبى لكم أنتم الذين تؤمنون بى مع أنكم لم ترونى ينبغى أن أكمل كل ما أرسلت لأعمله ثم أرجع الى من أرسلنى ، ولكنى بعد ذلك سأرسل واحدا من تلاميذى ليشفيك • يمنح الحياة لك ولكل من معك " • ويضيف يوسابيوس أن الرسول توما أرسل تداوس احد السبعين (لوقا ١٠ : ١ و ١٧) الى الملك فشفاه وكثيرين آخرين في المدينة ، وعمل عجائب وبشر بكلمة الله •

المسيحيون يعبدون في اديسا :

ومع أن هذه القصة مشكوك فيها ويصعب تصديقها الا أنه توجد قطعة من النقود في المتحف البريطاني يرجع تاريخها الى القرن الثانى الميلادى وعليها صورة الملك أبجر الثامن ويزين تاجه صليب ، ولعله كان أول ملك مسيحى • ويروى التاريخ عن فيضان حدث في اديسا ٢٠١م ودمر كنيسة مسيحية مما يدل على أن المسيحيين شعروا بالامان تحت حكم الملك أبجر فبنوا كنيسة قريبا من القصر الملكى وكانوا يعبدون فيها ، بينما استحال على المسيحيين ذلك في أمكنة أخرى من الامبراطورية الرومانية خوفا من الاضطهادات •

الكتابات السريانية :

كانت أديسا مركزا حضاريا وعلميا وكانت لغتها السريانية • ففي القرن الثاني الميلادي نقل المسيحيون في أديسا الآداب اليونانية الى اللغة السريانية ، وترجموا العهد الجديد نفسه من اليونانية الى السريانية قبل ٢٠٠ م وربما كانت أول ترجمة لكتاب العهد الجديد اليوناني •

تاتيان :

كان تاتيان أبرز القادة في الكنيسة السريانية (١١٠ - ١٧٢ م) • وكان من مواطني سوريا ، وكان واسع المعرفة • وعندما كان يفتش لنفسه عن ديانة ترضيه ، ذهب الى روما وهناك تقابل مع بعض المسيحيين وبخاصة جاستن مارتر الذي صار معلما له وعرفه بالكتاب المقدس ، ويشرح تاتيان احساسه هكذا :

" وضعت ثقتي في هذه الكتب المقدسة لأن أسلوبها لم يكن خياليا أو متكلفا ، والمتكلمين فيها صادقون ، والجمل سهلة ومفهومة ، وتخبر عن حوادث في المستقبل (يقصد النبوات عن مجيء المسيح) والرسائل أكثر مما يتوقع الانسان وأن الكون كله يسير على مبدأ واحد • " ولقد علمني الله ، فأدركت أن هذه ديانة تحررنا من العبودية التي في العالم وتختطفنا من تحت نير طغاة كثيرين ، أكثر من عشرة آلاف من الطغاة "

(من خطاب تاتيان الى اليونانيين)

الدياتسرون :

ولعل أعظم مآثر تاتيان طرا هي كتابه " توافق الأناجيل الأربعة " ★

★ توافق الأناجيل هو ترتيب قصص الأناجيل الأربعة في أعمدة متوازية بحيث تظهر كل الحوادث والأقوال كما هي مسجلة في كل انجيل جنبا الى جنب •

المسمى " الدياتسرون " الذى كتبه ١٧٢م • وفى جوهره كان هذا الدياتسرون عبارة عن قصة حياة يسوع مأخوذة من الأناجيل الأربعة مكتوبة فى السريانية أو اليونانية ، وصار الوثيقة الأساسية فى التعليم والعبادة فى الكنيسة السريانية حتى القرن الخامس الميلادى •

باردياسان (Bardaisan) (١٥٤ - ٢٢٢ م) :

كان باردياسان من مواطنى اديسا وصار مسيحيا فى نفس الوقت الذى صار فيه الملك أبجر الثامن مسيحيا • ورغم أنه تأثر بالغنوسية إلا أنه كان أول كاتب مسيحى للترانيم فى اللغة السريانية • وكان أيضا المفكر المعروف فى الكنيسة السريانية الصغيرة وقد كتب مرة يقول " ان الجنس الجديد هو نحن المسيحيين وقد زرعنا المسيح فى كل أمة • وأينما ذهبنا يطلق علينا اسم واحد هو " مسيحيون " • • • وقد هجر اخواتنا كل العادات التى لا تتفق مع ايماننا المسيحى " (سجلها تلميذه فى كتاب يسمى " بخصوص القدر ") • ومع ذلك فقد اعتبرت الكنيسة العربية كلا من تاتيان وباردياسان من الهرطقة على الرغم من أنه لولاهما لما وجدت المسيحية مكانا لها فى المناطق العربية •

الشهداء العرب :

تنتشر فى سوريا والأردن وفلسطين مقابر كثيرة كتب عليها " شهيد " يرجع تاريخها الى عصر الاضطهاد الرومانى القاسى فى القرن الثالث •

٢ - المسيحية فى جنوب الجزيرة العربية

لا توجد الا دلائل محدودة على دخول المسيحية الى شبه الجزيرة العربية ، ولكن هناك مجموعة من القصص عن ذلك من القرن الرابع الميلادى :

قيل عن رجل اسمه موسى أنه " عمل مصالحة بين الرومانيين والعرب وهدى كثيرين من العرب الى الايمان (المسيحية) • أيضا : رجل عربى

مسيحي كان يسكن البادية قال لأحد شيوخ العرب انه سيرزق ولدا ان هو صار مسيحيا . وعندما ولد الولد صارت القبيلة كلها مسيحية . وفى ٣٦٤ م عندما انعقد مجمع أنطاكية كان فى قائمة الحضور أسقف عربى اسمه ثيوتينوس (Theotinus) . وقيل أيضا ان أسقفا اسمه ثيوفيلس أرسل الى اليمن وحث ملكها على قبول الايمان المسيحى ، واليهود هناك عارضوه بشدة ، ولكن الملك قبل الايمان وبني ثلاث كنائس مسيحية .

استشهاد المسيحيين فى اليمن

هناك قصة اخرى عن اضطهاد جاز فيه المسيحيون فى اليمن على يدى ملك يهودى اسمه " مسروق " (Masruq) فى القرن السادس الميلادى كانت فى مدينة نجران جماعة مسيحية ، فأمر الملك بقتل كل الرجال وحرق الكنيسة ، ولما جاءت امرأة اسمها " زاروبا " (Zaruba) لترثى الرجال أحرقوها أيضا ثم بعد ثلاثة أيام جمع كل النساء فى مكان وأمروهن أن يبصقن على الصليب وينكرن المسيح فلما رفضن قتلوهن بالسهام ، وهذه هى الصلاة التى قدمنها ساعة استشهادهن :

" يا الله أسرع الى نجدتنا
أيها الرب يسوع المسيح انظر الى مذلتنا
ولا تبعدنا عنك بل امنحنا القوة
أن نسير فى طريق الاستشهاد وحتى نلحق
برجالنا الذين استشهدوا فى سبيلك اغفر لنا
خطايانا واقبل حياتنا ذبيحة
مرضية فى عينيك " .

فيلبس الأول الامبراطور المسيحي العربى :

يعتقد يوسابيوس وجيروم أن فيلبس الأول (٢٤٤ - ٢٤٩ م) كان امبراطورا مسيحيا ولكننا لانملك دليلا آخر على ذلك الأمر . وكان معروفا عنه

أيضا أنه عربى وكان معاصرا للأسقف العربى الأول لمدينة أورشليم . †
معظم الكنائس التى ظهرت فيما بين النهرين والجزيرة العربية أصبحت
فيما بعد من أتباع نسطور الذى اقترن اسمه فى القرن الخامس الميلادى
بالانحراف فى عقيدته عن المسيح .

٣ - الكنيسة فى أرمينية

كانت المنطقة التى تسمى أرمينية واسعة الأرجاء تغطى واحة تشمل الجزء
الشرقى من آسيا الصغرى (تركيا حاليا) والجزء الشمالى من وادى نهري دجلة
والفرات . وبذلك كانت تقع بين الامبراطوريات القديمة القوية ، فكانت تحت
رحمة اليونانيين أو الفرس أو الرومانيين . فكانت الأمة التى ذاقت الكثير من
الهوان منذ الأيام القديمة وحتى القرن العشرين .

دخول المسيحية الى أرمينية :

يقول تقليد عندهم ان المسيحية دخلت اليهم على يدى الرسول
تداوس وهو نفسه الذى شفى الملك أبجر . وبعد مدة لحق به برثلماوس وعمل
الرسولان معا الى أن استشهد كلاهما هناك . وهناك روايات عديدة عن
الاضطهادات التى وقعت على المسيحيين فى أرمينية . فيوسابيوس

يذكر أن كثيرين من المسيحيين فى أرمينية استشهدوا فى الاضطهاد الذى
حدث فى حكم الامبراطور مكسيمان (٣١١ - ٣١٣ م) (يوسابيوس H. E. VI:46) .
يقول المؤرخون الأرمنيون أن ترتليان ذكر استشهاده كثيرين فى
أيام ملوك فارس (١١٠ م - ٢٣٠ م) .
أما المؤرخ اليونانى " سوتزومن " (Sozomen) فقد كتب حوالى
٤٥٠ م يقول :

Trimingham, J.S., *Christianity among the Arabs in Pre-Islamic* †
Times, (London, 1979), p. 59, quoting Jerome, *De Viris Illust*
54& Eusebius, *H. E. 11:3*.

أصبح تردات (Tirdat) ملك أرمينية مسيحيا عندما رأى علامة من الله في أسرته ، وأعلن ذلك لشعبه ليصيروا مسيحيين . فكانت أرمينية على ما أعلم — أول أمة تصبح كلها مسيحية .

وفي نفس العصر الذي كتب فيه سوتزومن ، كتب مؤرخ أرمني اسمه " أجاثانجيلوس " (Agathangelos) قصة رسولهم المحبوب غريغوريوس المنير (٢٤٠ — ٣٣٢ م) الذي يسمى القديس الأرمني باسمه .

الملك تردات والقديس غريغوريوس :

في منتصف القرن الثالث الميلادي دبر الفرس مكيدة لاغتيال " خسروف " (khosrov) ملك أرمينية . ثم اغتيل القاتل هو وكل أسرته ولم ينج منها الا طفل واحد هو غريغوريوس الذي أخذ الى كبدوكية وتربى فيها تربية مسيحية . أما ابن الملك المقتول وكان اسمه تردات فقد هرب من يد الفرس وصار جنديا في جيش الامبراطور الروماني دقلديانوس (Diocletian) الذي ساعده على استرداد عرش أبيه ٢٨٦م . ورجع غريغوريوس أيضا الى بلاده وصار موظفا عظيما في بلاط تردات . ولكن سرعان ما اكتشفوا أن غريغوريوس هو ابن قاتل الملك خسروف، وأنه نشيط جدا في التبشير بالمسيحية فألقاه الملك تردات في السجن وأمر بتعذيبه وقتله . ولكن خادمة أنقذت حياته . وفي نفس الوقت بدأت الاجلام تعذب الملك تردات وهو يصب جام غضبه على المسيحيين في كل البلاد ويضطهدهم . وفي أحد الأيام ذهبت اليه أخته وأخبرته عن حلم حلمته مضمونه أن رجلا ذا طلعة بهية جاء اليها وأخبرها أن الملك يجب أن يكف عن الاضطهاد وأن يطلق سراح غريغوريوس من السجن لأنه " لديه وحده الدواء بكل العلل المتفشية في البلاد " .

حينئذ قبل الملك نصيحة أخته وأطلق سراح غريغوريوس من السجن فشفى الملك من عذابه وسرعان ما اعتنق المسيحية واعتمد هو وكل أهل بيته .

وازيلت الأصنام من كل أرمينية وتطهرت المعابد وحولت الى كنائس ، ثم تجدد الكثيرون من كهنة الأوثان وأصبحوا خداما مسيحيين . أما غريغوريوس فقد رسمه أسقف قيصرية في كبدوكية أول أسقف على أرمينية ٢٩٤م باسم " غريغوريوس المنير " .

٤ - الكنيسة في بارثيا وبلاد فارس

كانت بارثيا تقع بين بلاد فارس واديسا وكانت تشمل معظم أراضي ايران الحديثة . واعتنقت الكنيسة هناك عقيدة نسطور ، وتعرف في العصر الحديث بالكنيسة الآشورية . وقد أشار يوسابيوس المؤرخ الى مقاطعة " أديابين " (Adiabene) وعاصمتها " أربل " ولكنه لم يذكر أنه كانت هناك كنيسة مسيحية .

باكيدا (Pagida) أول مسيحي :

في احدى الكتابات القليلة جدا التي تخبرنا عن المسيحية في أديابين وتسمى " أخبار أربل " تذكر قصة باكيدا الذي قابل الرسول تداوس عندما أعلن نيته في أن يصير مسيحيا ، سجنه والداه في المنزل ولكنه هرب وصار تلميذا لتداوس . " ويقولون انه بعد خمس سنوات كرسه تداوس وأرسله الى وطنه وشعبه . وهكذا صار الأسقف الأول لأديابين وقد رسمه الرسول تداوس نفسه " .

سمسون أول شهيد :

توفي باكيدا سنة ١١٤ م وكان قد اختار شخصا اسمه سمسون شماسا وتلميذا له . وقد صار سمسون فيما بعد أسقفا وكان ينادى بالانجيل في طول البلاد وعرضها . وكان السكان المؤمنون بالزرادشتية (Zoroastrian) يعبدون النار وكانوا يقدمون الأطفال قرابين الالهة . ولكن عندما بدأ الايمان المسيحي ينتشر في البلاد ، ذعر الكهنة وقبضوا على سمسون وعذبوه وقتلوه . وهكذا صار سمسون أول شهيد هناك .

راكباخت (Raqbakhit) الحاكم المسيحي الاول :

كان راكباخت حاكما شديدا وغنيا لأديابين (١٤٠ م) . هذا الرجل اعتنق المسيحية سرا خوفا من الامبراطور . ولقد حاول الكهنة الزرادشتيون أن يكيدوا له ويقتلوه ولكنه نجا منهم وشجع انتشار المسيحية في كل المنطقة ،

ولكنه أخيرا قتل فى معركة وقد ورد اسمه فى كتاب " أخبار أربل " على أنه " رجل الله وقسطنطين عصره " .

أساقفة فى بارثيا :

فى النصف الأخير من القرن الثانى الميلادى اشتدت الاضطهادات وبدأت الكنيسة فى بارثيا فى الضعف ، ولكن أخبار أربل تذكر أنه فى سنة ٢٢٥ م كانت هناك سبع عشرة أسقفية (ومعظمها فيما بين النهرين) وتقول " لكن كان هناك أساقفة فى مدن أخرى أيضا نصيبين والمدائن (العاصمة) فلم يكن فيهما أساقفة خوفا من الوثنيين " .

٥ - المسيحيون تحت حكم الساسانيين

فارس تغزو بارثيا :

ومن الأخبار المذكورة فى كتاب أخبار أربل أنه فى سنة ٢٢٥ م سقطت كل بارثيا فى يد أسرة الساسانيين التى كانت تحكم فارس وجعلوا من المدائن عاصمة بارثيا على نهر دجلة عاصمة لهم .

الامبراطور قسطنطين يطلب حماية المسيحيين فى فارس :

لقد سمح للأقلية المسيحية أن تعيش فى سلام فى بادىء الأمر مع الأكثرية الزرادشتية التى كانت الديانة الرسمية للبلاد ولكن بدأت حروب طويلة مستمرة بين الرومان والفرس ، وفى أول الأمر لم يتأثر المسيحيون بهذه الحروب حيث أنهم كانوا موضوع الاضطهاد فى الامبراطورية الرومانية ولكن لما أوقف قسطنطين العظيم اضطهادهم ٣١٢ م وبدأ يسانداهم بدأ الفرس يرتابون فى اخلاص المسيحيين لهم وزاد الطين بلة أن الامبراطور قسطنطين كتب الى امبراطور فارس خطابا يمتدح فيه الايمان المسيحى ونجده يذكر كيف ان الهه المسيحيين ساعده على هزيمة أعدائه ، ثم أضاف : " تصور مقدار اغتباطى عندما سمعت أن أجمل مناطق فارس قد امتلأت بأولئك الرجال المسيحيين

الذين أتكلم عنهم ••• واننى أصلى طالبا النجاح لك ولهم ولأن سلطانك عظيم فأرجوك أن تحميهم " (أخبار أربل ، اقتباس فوستر (Foster) فى كتابه السابق ص ٩٧) •

الاضطهاد المرير الذى وقع على المسيحيين فى فارس :

فى ٣٣٧ جرد قسطنطين حملة عظيمة ضد الفرس واصطحب معه أساقفة مسيحيين لكى يصلوا من أجل فوزه فى معركته • ولم يكن غريبا بعد ذلك أن يواجه المسيحيون فى فارس الاضطهاد العنيف • وكانت الخطوة الأولى هى مضاعفة الضريبة عليهم وأعقب ذلك هدم الكنائس ومصادرة الأموال وقتل الكهنة • ولقد استدعى الأسقف شمعون أسقف المدائن ليمثل أمام الامبراطور الذى سأل " لماذا لاتركع أمامى كما كنت تفعل دائما " ؟ فأجابه الأسقف " لأننى لم أكن مكبلا بالسلاسل ، كما أنك لم تكن تطلب منى أن أترك حق الله " واستشهد شيمون فى اليوم التالى ، الذى صادف يوم جمعة الصلب بعد أن أجبروه على أن يشاهد اعدام مئة من الأساقفة والشيوخ ورجال دين آخرين •

استمر الاضطهاد مدة ٤٠ سنة ، ويذكر المؤرخ اليونانى سوتزومن أن ١٦٠٠٠ شخص معروفين بالاسم قد قتلوا ، ولكنه يقول انه متأكد من أن عددا آخر أكبر من أن يحصى لم تظهر أسماءهم فى قائمة القتلى هذه ، قد استشهدوا أيضا •

ولكن الكنيسة فى فارس لم تنته بل بقيت ولكن كأقلية وقد تسامح معها الأباطرة الذين جاؤا بعد ذلك وفى القرن الخامس الميلادى صارت هذه الكنيسة من مؤيدى النسطورية وقبلوها عقيدة لهم •

٦ - الكنيسة فى اثيوبيا (الحبشة)

التاريخ المبكر لاثيوبيا :

كانت اثيوبيا معروفة لدى المصريين منذ القرن السادس عشر قبل الميلاد وذلك عندما أرسلت الملكة حتشبسوت بعثة بحرية لاكتشاف المنطقة التى كانت معروفة باسم بلاد البونت ، بعد ذلك جرى الاتصال بين الملك

سليمان وملكة سبا (١ ملوك ١٠ : ١ - ١٣) ومن هنا جاء التقليد الذى يؤكد أن الملوك الذين تعاقبوا على عرش الحبشة يرجع نسبهم الى سليمان • ومن المعروف أيضا أن جماعة من اليهود التجأوا الى الحبشة بعد خراب الهيكل وظلوا يمارسون عبادتهم اليهودية الى أن دخلت المسيحية الى البلاد •

الحبشة أقدم دولة مسيحية :

يمكننا القول بأن الحبشة هى أقدم أمة اعتنقت المسيحية ولا زالت تتكون من غالبية مسيحية • ولعل أول شخص من أصل غير يهودى تعمد وصار مسيحيا هو الخصى الحبشى الذى كان وزير الخزانة لكنداكة ملكة الحبشة ، وقد عمده فيلبس (اعمال ٨ : ٢٦ - ٣٩) • ويعتقد بعض آباء الكنيسة أن هذا الوزير هو الذى حمل الانجيل الى بلاده •

روفينوس المؤرخ (Rufinus) :

ولقد سجل قصة بداية الكنيسة الحبشية مؤرخ الكنيسة الايطالى روفينوس الذى عاش على جبل الزيتون سنة ٤٠٠ م ، كما سمعها من ادسيوس (Edesius) وهو أخو مؤسس الكنيسة نفسه واسمه فرومنتيوس (Frumentius) •

أدسيوس وفرومنتيوس :

هذان الأخوان كانا مسافرين فى صباهما على ظهر سفينة مع معلمهما ، ورسى السفينة فى ميناء أدوليس (Adulis) وهى ميناء أثيوبى على البحر الأحمر • ولكن لما رأى الاثيوبيون العلم الرومانى يرفرف على السفينة اعتبروها سفينة معادية فهاجموها وقتلوا كل ركبها ماعدا هذين الصبيين اللذين أخذوهما أسيرين ثم أحضروهما الى الملك فى أكسوم العاصمة • فلما رأى الملك مقدرتهما وثقافتتهما جعلهما يخدمان فى البلاط الملكى • وعندما مات الملك طلب من الأخوين أن يعاونا الملكة فى الحكم لأن ابنها كان مازال طفلا • وكان فرومنتيوس المصرى المسيحى هو المتقدم فصار يشجع المسيحيين الأجانب الذين كانوا يعيشون فى الحبشة • أما أدسيوس فقد رجع بعد ذلك الى بلاده بينما مكث أخوه فى اثيوبيا حاكما عليها وقد زار الاسكندرية وقابل أثناسيوس العظيم وأخبره فرومنتيوس عما فعله الرب وطلب منه أن يكرس أسقفا

يرعى المسيحيين المتكاثرين والكنائس التي تقام فى تلك البلاد الأجنبية .
فأجابه أثناسيوس بعد تفكير طويل ودقيق : " ومن هو أحق منك بذلك " .
وهكذا صار فرومنتيوس المصرى أول أسقف لاثيوبيا (٣٤٠ م) وقد سماه الملك
والشعب " أباً سلامة " ومن الوقت الى ١٩٥٥ كل أساقفة الكنيسة فى اثيوبيا
يرسمون فى مصر على يدى بطريرك الاسكندرية وكان هذا هو الرباط المتين
الذى ربط كنيسة الحبشة بكنيسة مصر فأطلق على كل منهما الكنيسة القبطية
(المصرية او الحبشية) .

الملك ايزانا (Ezana) :

فى أكسوم توجد كتابات على الأحجار يرجع تاريخها الى عصر الملك
ايزانا (٣٢٥ - ٣٥٠ م) تبين أن هذا الملك قد تحول من عبادة الأوثان الى
ديانة المسيح . كما أن عملة ذلك العهد تحمل علامة الصليب . وايزانا هذا
هو الملك الطفل الذى حكم فرومنتيوس البلاد باسمه .

٧ - الكنيسة فى الهند

القديس توما فى الهند :

ينتسب سكان ملابار المسيحيون (وهى ولاية كيرالا الحديثة) فى
جنوب غرب الهند الى الكنيسة السريانية الأرثوذكسية ، وهم يرجعون
بأصولهم الى القديس توما الذى جاء الى الهند - كما يظنون ٥٢ م . وهناك
تقاليد كثيرة تربط هذه الكنيسة بالقديس توما ، وتدل على أن المسيحية
وصلت الى هناك منذ عصرها الأول .

الشواهد على انتشار المسيحية فى الهند :

يذكر كتاب " أعمال توما " (وهو واحد من كتب الابوكريفا) أن
التلاميذ ألقوا فيما بينهم قرعة ليعرف كل واحد البلاد التى ينبغى أن يذهب
اليها وليبشرها وكان من نصيب القديس توما أن يذهب الى الهند ، فذهب
وأسس فيها كنيسة . ومن المعروف أن الطريق الى الهند كانت مألوفة فى ذلك
الوقت وتستغرق ثلاثة أشهر ، ويذكر يوسابيوس أن مرسلا من الاسكندرية ذهب
الى الهند فى القرن الثانى الميلادى وكان اسمه بانتينوس (Pantaenus)

الذى صار فيما بعد رئيساً لمدرسة الاسكندرية اللاهوتية العظيمة • وفى وثيقة مكتوبة باللغة السريانية يرجع تاريخها إلى القرن السابع الميلادى يذكر أن داود أسقف البصرة على الخليج الفارسى ذهب إلى الهند وكرز هناك ٣٠٠ م ثم يظهر توقيع يوحنا الفارسى مع توقيعات جميع الأساقفة على قرارات مجمع نيقية • ويقول أمام اسمه " عن الكنائس فى كل فارس وفى الهند العظيمة " •

توما التاجر :

وتذكر تقاليد كنيسة مارتوما الهندية شخصاً آخر اسمه توما كان تاجراً وذهب إلى الهند ٣٤٥ م فى رفقة ٤٠٠ شخص مسيحي هاجروا من فارس • ويؤيد هذا التقليد اعلان رسمى ببعض الامتيازات منحه حاكم هندي لهذه الجماعة • رد على ذلك أنه فى ذلك الوقت وقع الاضطهاد الشديد على المسيحيين فى فارس ولم يكن غير الهند ملجأ يلجأون اليه •

كوزموس الاسكندرى :

يعتبر كتاب " كوزموس " (Cosmos) التاجر الاسكندرى " الطبوغرافيا المسيحية " الذى كتبه ٥٤٧ م أهم دليل على وجود المسيحية فى جنوب آسيا فقد كتب يقول :

" لقد كرز بالانجيل فى كل العالم " واننى أدون هذه الحقيقة كما رأيته وسمعتها فى أماكن كثيرة ••• فى سيلان (سريلانكا) توجد كنيسة فيها رعاة وجماعة من المؤمنين ••• وكذلك الحال فى البلاد التى تسمى مالابار (الآن كيرالا) وفى كاليانا (بالقرب من بومباي) وكان لها أسقف تنتخبه فارس • وكذلك فى سومطرة حيث يوجد كهنة من فارس وجماعة كبيرة من المسيحيين ••• وكذلك كل بلاد فارس بكنائسها التى تفوق الحصر بجماعاتها الكبيرة وشهادتها ••• ثم الحبشة وأكسيوم •• واليمن والجزيرة العربية • ☆

☆ يجب ملاحظة أن المصدر الرئيسى لهذه المعلومات هو كتاب فوستر " الانتشار الأول " (The First Advance) وأى اقتباس لا يذكر مصدره يرجع فيه إلى هذا الكتاب •

Recommended English Readings

1. Atiya Aziz S. *A History of Eastern Christianity*. Mathuen and Co., London 1968.
2. Bruce, F. F. *The Spreading Flame*. (Paternoster Church History, Volume 1). Paternoster Press, Editor 1958, pp. 283-289
3. Foster, John. *Church History I, The First Advance*, (TE F Study Guide No. 5). London: SPCK, 1972. pp. 84-115.
4. Trimingham, J. S. *Christianity Among The Arabs in Pre-Islamic Times*. London: Longman, 1979.

ب - المسيحية فى شمال افريقية

المجتمع المسيحى الأول فى قرطاجنة :

كانت مدينة قرطاجنة (الآن تونس) فى شمال أفريقيا مشهورة بالتجارة والصناعة ومع أن تأثير الحضارة اليونانية كان واضحا فيها ، الا أنها كانت أهم مركز ثقافى للغة اللاتينية فى ذلك الوقت . وكانت اللاتينية هى لغة روما التى كانت تحكم غرب البحر الأبيض المتوسط . أما دخول الانجيل الى تلك المدينة فالأرجح أنه تم بواسطة جماعة من يهود الشتات الساكنين فى أواخر القرن الأول ويؤخذ من كتابات ترتليان فى أواخر القرن الثانى أن مجتمعا مسيحيا كبيرا كان موجودا فى قرطاجنة بل أن أحد المجمع الكنسية عقد فيها ٢١٦ م ، حضره ٧١ أسقفا من أفريقيا . ولقد ترجمت القداست اليونانية الى اللغة اللاتينية نظرا لأهمية اللغة اللاتينية فى تلك البلاد ، بل أن ترتليان يقول انه كانت هناك ترجمة كاملة للكتاب المقدس باللغة اللاتينية .

الامبراطور سبتيميوس سيفيروس (Septimius Severus) :

ولد الامبراطور سبتيميوس سيفيروس (١٤٦ - ٢١١ م) فى مدينة ليبتيس ماجنا (ليبتيس العظيمة) فى شمال أفريقيا بالقرب من طرابلس ليبيا ، وكان جنرالا فى جيش روما ولكن الجنود الذين كانوا تحت امرته انتخبوه امبراطورا ، فهزم كل من وقف فى وجهه ، وأرادوا اغتصاب السلطة ، وبعد ذلك جرد حملة على بلاد ما بين النهرين . وفى ٢٠٢ أصدر مرسوما يمنع الرعاية من الدخول فى اليهودية أو المسيحية لأنه كان وثنيا . وكان السبب فى ذلك هو أن اليهود بدأوا ثورة تشبه ثورة باركوكبا ، أما المسيحيون فقد اعتبرهم غير أهل للثقة (لأن كثيرين منهم لم يكونوا متحمسين للمعارك لأنهم كانوا ينتظرون المسيح السريع للمسيح) وأعقب ذلك الاضطهاد والاستشهاد .

الاضطهاد المسكونى الأول :

كان هذا الاضطهاد هو الأول من نوعه ، اذ وقع على اليهود والمسيحيين معا وشمل كل العالم وامتد الى الاسكندرية وأنطاكية وكورنثوس وروما وقرطاجنة • فقد رفض أتباع الديانتين أن يقدموا ذبائح لتمثيل الامبراطور ، فتعرضوا للحرق والضرب وقطع الرقاب • ولقد انتشر " جنون الاستشهاد " بين الناس حيث كانوا يندفعون الى ساحات الاعداء ، واعتبرها أوريجانوس فترة من الفترات المجيدة فى تاريخ الكنيسة ، ففى ذلك الوقت " كان المؤمن يظهر على حقيقته فيذهب بشجاعة الى الاستشهاد فى الكنيسة ، وعندما كنا نرجع من المدافن بعد أن نكون قد رأينا جثث الشهداء ، كانت الكنيسة تجتمع كلها دون أن يحدث فيها أى تصدع ••• ولكن مع ذلك كنا نرى العجائب ، نعم كان المؤمنون الأمناء أقلية ولكنهم كانوا أمناء يتقدمون فى الطريق الضيق الذى يؤدى الى الحياة " (أوريجانوس فى العظة الرابعة عن سفر ارميا) ★

سفيروس يعطف على المسيحيين :

كان الاضطهاد منتشرا وعنيفا ولكنه استمر سنة واحدة فقط • والحق يقال أنه لو حذفنا فترة الاضطهاد هذه ، لقلنا ان هذا الامبراطور كان منحازا للمسيحيين لا ضدهم • ويذكر ترتليان أنه كان يعاملهم معاملة حسنة ، وفى مرة " طلب من أحد المسيحيين أن يشفيه من أحد الأمراض واستخدم احدى الممرضات المسيحيات لترعى الأمير الصغير كاركالا (Caracalla) • وقد كان هناك رجال ونساء فى أرفع المناصب وكان لهم مطلق الحرية فى ممارسة شعائر دينهم وليس ذلك فقط بل ان الامبراطور نفسه تدخل لانقاذ جماعة من المسيحيين من أيدي الغوغاء الثائرين † ويذكر جيروم أيضا كثيرا عن صداقة سفيروس وكاركالا للمسيحيين •

★ انظر Frend, W.H.C., *Martyrdom and Persecution in the*

• *Early Church*. p. 241

† انظر نفس المرجع Ibid., p. 242

١ - ترتليان (Tertullian)

كان ترتليان واحدا من أبرز الشخصيات فى الكنيسة المسيحية الأولى وأول قائد عظيم فى الكنيسة فى شمال أفريقيا • ولد فى قرطاجنة حوالى ١٦٠ م وكان والداه من الأثرياء ولكنهما لم يكونا مسيحيين وقد أرسلاه الى روما لدراسة القانون وقد نال أعظم قسط من التعليم فى الفلسفة والتاريخ ، وكان يكتب باليونانية واللاتينية على حد سواء • أما عن اعتناقه للمسيحية فقد حدث حوالى ١٩٠ م فى روما على الأرجح ومنذ ذلك الوقت كرس وقته وجهده لدراسة الكتابات المسيحية كما فعل من قبل مع القانون • ثم رجع الى قرطاجنة حيث رسم شيخا واستمر هناك الى يوم وفاته ٢٤٠ م •

ترتليان الكاتب :

كانت كتابات ترتليان هى أعظم ما قدمه للكنيسة • وقد كتب معظمها باللغة اللاتينية وكرس حياته لشرح العقائد المسيحية والدفاع عنها ، وكانت كتابات حية مشوقة حتى فى مناقشة المواضيع اللاهوتية العويصة كانت له القدرة على الوضوح والمتابعات المنطقية وكانت لدراسته القانون وعمله كمحام الفضل الأول فى صقل موهبته الكتابية الرائعة والى جانب ذلك كانت معرفته بالفلسفة الرواقية معينا له على اقناع المثقفين فى عصره فكان يكتب بحرارة موجهها كلامه الى شخص أو الى موقف مستعينا بالفلسفة والفطرة السليمة وأصول التفسير كما كان يفعل المحامون فى عصره لتأييد قضاياهم ولم يكن ثراء معرفة ترتليان قاصرا على ذلك فقط ، بل تعداه الى الاقتصاد والصحة والفلسفة والتاريخ بل تناول الملابس وعادات العصر • ولولاه ولولا كتابه " ضد مارسيون " لكانت معرفتنا لهذا الهرطوقى ضئيلة جدا ، وليس مارسيون فقط بل كل الغنوسيين والدوستيين والمونتانيين الذين عاصروهم وكتب عنهم جميعا •

ترتليان أبو الفكر اللاهوتى اللاتينى :

سمى ترتليان بحق أبا الفكر اللاهوتى اللاتينى لأنه كان المفكر الرئيسى الذى صاغ المصطلحات والتعبيرات التى سادت فى الكنيسة الغربية • وقد

اجتمعت فى صفحات كتبه البلاغة والقانون والفكر اللاهوتى بل ان كل المصطلحات التى استخدمتها الكنيسة الغربية أو اللاتينية لأجيال طويلة ، كان مصدرها ترتليان • وخير مثال على ذلك مصطلحات " سر " (sacramentum) • " الثالوث " (trinitas) • " الجوهر " (substantia) وغيرها من المصطلحات التى يستخدمها علم اللاهوت فى وقتنا الحاضر ، هى من ابتكاره •

ترتليان يشرح علم اللاهوت :

كان فكر ترتليان اللاهوتى امتدادا لفكر المدافعين الأوائل وايريناوس (Irenaeus) فإذا لم نستطع أن نقول انه " مفكر لاهوتى مبتكر " فلا أقل من أن يوصف بأنه الرجل الذى يستطيع أن يشرح القضايا اللاهوتية ويقدمها بصورة مقنعة ببلاغته ومقدرته فى استخدام المنطق استطاع أن يعمق مفهوم وعقيدة " المسيح الكلمة " التى كان لها تأثيرها البالغ فى القرن الثانى الميلادى •

مبادئ فكر ترتليان اللاهوتى :

وصف ترتليان اللاهوت والناسوت فى المسيح بأنه شخص واحد له طبيعتان تحتفظ كل منهما بخصائصها ، طبيعة واحدة ، جوهر واحد ، قوة واحدة • ولكنه كان يعتقد أن الأقنومين الثانى والثالث فى الثالوث المقدس خاضعان للآب ، الأقنوم الأول يدافع عن عقيدة الخضوع هكذا :
" كيف يمكن تصور أن الله كلى القدرة الغير المنظور الذى لم يره انسان ولا يقدر أن يراه الذى يسكن فى نور لا يدنى منه والذى لا يسكن فى هياكل صنعة أيدي الانسان ، الذى ترتعد الارض أمام هيئته والجبال تذوب كالشمع ، الذى يمسك بكل العالم فى قبضة يده الذى السماء كرسىه والأرض موطئ قدميه ، الذى يحيط بكل حيز وهو لا يتحيز الذى يحيط بالحدود النهائية لكل الكون أقول كيف أن العظيم المتعالى يسير عند هبوب ريح النهار فى الجنة يفتش عن آدم ••• ويجلس تحت بلوطة ابراهيم من حرارة القيظ ، وينادى على موسى من عليقة تحترق ، ويظهر كرابع فى أتون النار الذى أوقده ملك بابل ••• ما لم تكن هذه الأمور صورة أو مثالا أو مجازا ؟ وما كنا لنصدق أن هذه

الأمور تحدث حتى مع ابن الله ما لم تكن في الكتب المقدسة • لأن أولئك الهراطقة " ينزلون (الآب) الى بطن مريم العذراء ، ويوقفونه أمام كرسي بيلاطس ويدفنونه في قبر يوسف ... هذا كله لأنهم جهلوا أن كل تدبيرات الله منذ البدء قد اتخذت مجراها بواسطة الابن ، انهم يعتقدون أن الآب نفسه هو الذى رآه الناس وتكلموا معه وتعب وعانى من الجوع والعطش ، بالرغم من قول النبي " لأن الاله الأبدى لايجوع ولايعطش " وبالأجرى وأنه لايموت ولايدفن وهكذا يعتقدون أنه لم يوجد الا اله واحد هو الآب وهو الذى عمل الأشياء التى لم يقم بها - فى الحق - الا الابن • ★

عقيدة ترتليان فى المسيح :

عرف ترتليان المسيحية بأنها انبثاق المعرفة الدينية التى ترقد فى أعماق النفس البشرية فلا يوجد الا اله واحد هو اله بار • ومع أن العالم مملوء بالشياطين التى تجذب الناس الى الشر ، الا أن الكنيسة تعلن لنا عن طريق الخلاص • كل السلطان قد منح للكنيسة التى لها وحدها الحق كما توضحه عقائدها ، ولها وحدها الحق فى تفسير الكتب المقدسة • المسيحية هى ناموس جديد • فقد أعلن يسوع المسيح هذا الناموس الجديد والمواعيد الجديدة لملكوت السموات •

رأى ترتليان فى الأخلاق :

لقد عالج ترتليان كثيرا من القضايا الأخلاقية وترك لنا صورة من أوضح ما يكون عن تعاليم الكنيسة فى السلوك الاجتماعى • كتب ضد الملاحى العالمية " فتلك الألعاب الرياضية فى المصارعات التى كانت تقام تكريما للالهة الوثنية وكانت تثير المنازعات والغضب والمرارة والحزن وتشجع على الشر • ومن خلال هذه الألعاب لم تقترب الجريمة فقط ، بل كانوا يعلمونها للغير " ★

★ انظر *Tertullian against Praxaeus*, Chap. 16, as quoted in

H. C. McGiffert, *A History of Christian Thought*, Volume I,
pp. 235-236.

★ *Latourette, A History of Christianity*, p.244

رأى ترتليان فى الاحسان :

أما من الناحية الايجابية فقد أظهر ترتليان مدى اهتمام الكنيسة بأعضائها " عندنا خزينة الكنيسة يتبرع لها ويدفع فيها كل من يقدر مرة كل شهر وهذه الأموال لاتستعمل فى الحفلات والشراب بل لمساعدة الفقراء واليتامى والعجزة والمسيحيين الذين تحطمت سفنهم فى البحر فأرسلوا الى المناجم وسخروا فى العمل هناك ، أو نفوا الى الجزائر أو وضعوا فى السجون • ولهذا السبب يشير الناس الينا ويقولون : " انظروا كيف يحب المسيحيون بعضهم بعضا " • †

ترتليان وكتابته ضد الهرطقة :

أما أبلغ كتب ترتليان فهو رأيه فيما يجب أن يكون عليه موقف الكنيسة ضد الوثنية والهرطقة " لقد أدركنا ظهورنا للنظم الوثنية التى اعتنقها آباؤنا لأنه أى صلة بين أثينا وأورشليم ؟ وماذا يربط الهرطقة بالمسيحيين ؟ سحقا لتلك المحاولات التى تحول المسيحية الى مسيحية رواقية أو أفلاطونية أو جدلية ، فنحن لسنا فى حاجة الى تلك المجادلات بعد أن امتلكننا يسوع المسيح • ‡

وكانت ظروف هجوم ترتليان على الهرطقة واضحة فاتهمهم بأنهم اخترعوا أفكارهم • بينما الايمان المسلم مرة للقديسين هو ايمان مسلم وليس مخترعا • ورغم أنه كان فيلسوفا الا أن هجومه على الفلسفة ودورها فى تشجيع الهرطقة كان قاسيا : " لقد انخدع الهرطقة بالفلسفة ، فهى المصدر الذى جاء فيه الأيون (aeons) • ولست أدري ما هى الاشكال والتركيبات الثلاثية فى الانسان التى يقوم بها فالنتينوس (Valentinus) • (انظر صفحة ١٠٨ الجزء الأول) ومنها أيضا ظهر اله مارسيون (انظر صفحة ١١٤ الجزء الأول) هذا الاله الذى تنبثق عظمته من عدم احساسه بالالام ، لأنه جاء من تفكير

John Foster, *Church History I, The First Advance*, †

(London, 1972), pp. 27-28

tertullian, *De Praescriptione*, 7, as quoted in W. H. C. ‡

Frend, *The Early Church*, p.93

الرواقيين (انظر صفحة ١١٧ الجزء الأول) . ولقد جاءت عقيدة فناء الروح من الأبيقوريين (انظر صفحة ١١٦ الجزء الأول) وانكار القيامة أصبح أمرا عاما بين الفلاسفة من كافة المدارس ، وجاء الرأي بمساواة المادة بالله من تعليم زينو . أما أرسطو (انظر صفحة ١٥ الجزء الأول) الحقيير فهو معلمهم جميعا فى الجدليات فى البناء والهدم ، وتقلب الأفكار والمناقشات المتحجرة التى هى لعنة حتى الى نفسها ، مثيرة لكل قضية لئلا تعتبر قد أقفلت الى الأبد . وان شئت الحق فان الفلاسفة هم الآباء الحقيقيون والاصليون للهراطقة . ★

ترتليان يدافع عن الكنيسة ضد الدولة :

لقد أحس المسيحيون بضغط السلطات السياسية الرسمية والشكوك التى تحوم حولهم رغم أن أقسى الاضطهادات كانت لاتزال طى المستقبل . لقد كانوا أقلية ينظر اليهم نظرة الارتياب والشك . وكان ترتليان من أفصح من احتج على تلك المعاملة الجائرة التى عوملوا بها : " ان كلمة المؤامرة يجب ألا تنسب الينا . بل يجب أن تلصق بأولئك المتآمرين الذين ينفثون الكراهية ضد الناس الصالحين الطيبين ، ويصرخون طالبين دم الأبرياء ، وينسجون

الخرعبلات تبريرا لكراهيتهم فيتهمون ببلاهة المسيحيين بأنهم أصل المصائب القومية وكل بلوى تصيب الناس ، فان فاض نهر التيبر فغطى الأراضى ، واذا لم يفيض النيل ليروى الحقول ، واذا منعت السماء أمطارها ، اذا حدثت الزلازل أو المجاعات أو الأوبئة ، اذا حدث شيء من ذلك ، صاح أولئك المؤتمرين : القوا بالمسيحيين الى الأسود " . ★

دماء الشهداء بذار الكنيسة :

ولكن اذا كان لابد من الاضطهاد ، فان ترتليان يواجه الخطر بكل

Tertullian, *De anima* 3, XXX, p. 302, and *Adversus* ★

Hermogenes 8, XLVIII, p. 135, as quoted by Turner in H. E. W.

• *The Pattern of Christian Truth*, pp. 217, 218

Tertullian, *Apology* 40: 1-2, as quoted by E. F. Bruce, ★

The Spreading Flame, p. 180.

شجاعة : " الى الامام ، الى الامام أيها القضاة الطيبون فانكم سوف تنالون تهليل ومديح الجموع الهائجة عندما تقدموننا على مذبح شهواتهم ، اقبلونا ، عذبونا ، احكموا علينا اطحنوا عظامنا ... ولكن كلما أردتم محونا ازددنا عددا ، فدماء الشهداء هي نوع من البذار * †
المسيحيون في كل مكان :

لقد تحدى ترتليان الكل وبرهن على أن المسيحيين يعظم انتصارهم بالمسيح : " نحن لسنا الا أبناء الأسى ولكننا قد ملانا كل الأمكنة التي تخصصكم : المدن والجزائر والحصون والبلاد الصغيرة ، والثكنات العسكرية ذاتها والقبائل ومجالس المدن والقصر ومجلس الشيوخ والاسواق ... اننا لم نترك لكم الا معابدكم " * ‡
المسيحيون مواطنون صالحون :

ومع ذلك فقد جاهد ترتليان مع غيره من الكتاب المسيحيين ليبرهنوا على أن المسيحيين مواطنون مخلصون بل هم اكثر اخلاصا من الآخرين لسبب واحد وهو لأنهم مسيحيون " نحن نصلي دائما للباطرة ، نطلب لهم عمرا طويلا ، وحكما آمنا ، وبيتا محروسا ، وجيوشا بأسلة ، ومجلس شيوخ مخلصا ، وشعبا آمينا ، وعالما هادئا ، وكل ما يطمناه القيصر أو أي انسان آخر ، ... اننا نعلم علم اليقين أنه لولا الامبراطورية الرومانية لانطلقت القوى الشريرة التي تهدد العالم ولانتهت الدنيا بما يتهددها من أخطار رهيبة ... فعندما نصلي من أجل تأجيل هذه الكوارث ، فاننا نصلي من أجل بقاء روما ... ان لي الحق في أن أقول ان القيصر هو لنا أكثر مما لكم ، وقد أقامه الهنا في مركزه * .

ترتليان يصبح واحدا من المونتانيين : (أنظر صفحة ١٢٠ في الجزء الاول)
قيل عن ترتليان بأنه واحد من الخوارج في التاريخ ، فقد خرج على أهله ، وعلى تراثه الديني الوثني ، وعلى الثقافة الرومانية - اليونانية .
وأخيرا عندما تقدم به العمر خرج على كنيسته نفسها . التي استبسل في

Tertullian, *Apology* 50, as quoted by Philip Carrington, †

The Early Christian Church, Vol. II, p. 398.

Apology 37:4, quoted by F. F. Bruce, p. 181 ‡

•Paul Johnson, *A History of Christianity*, p. 70. ★

لدفاع عسها فى سنى حياه الأولى • لقد حزن على ما انتابها من التحلل
الحلى والطريقة التى فلدت بها العالم ، وهذا الأمر يجعله يقتنع بعقيدته
الموسانسن الدين نادوا بمجيء المسيح ثانية سريعا ، ووجوب الاستعداد
الصارم لهذا الرجوع • وبذلك صار ذلك الرجل الذى دفع بكل فصاحة وحماس
عن سلطان الكنيسة ضد المونتانيين وكان يبرهن بكل قوة على أن الكتب
المعدسه والتقليد هما الأساس الوحيد للحياة المسيحية ، هذا الرجل أدار
ظهره لكل ذلك ، ونادى بالدور الحاسم للروح القدس فى ارشاد الانسان حتى
فى أعماله وقراراته اليومية : " وطالما بقى حكم الايمان ثابتا ، فما بقى بعد
ذلك مما يختص بنظام الحياة وكيفيتها ينبغى أن يقبل التجديد والتصحيح
بواسطة عمل نعمة الله الى النهاية • لقد أرسل الرب الروح المرشد " *Paraclete*
ولذلك فهو يرشد التلاميذ ويتحكم فى حياتهم ويكملها بواسطة الروح القدس
نائب الرب " • ★

آداب ترتليان المونتاني :

كان مفهوم ترتليان للمونتانية يتلخص فى أنها انسكاب للروح القد
يتمثل فى الأحلام والرؤى والرسائل ، انسكاب على مجموعة صغيرة
المؤمنين • وبذلك كان ينتقد المسيحيين الذين لم يدققوا فى ملازمهم
وأقوالهم وسلوكهم • ثم نادى بأنه يجب أن توضع قوانين جديدة ، نفذ
بالقوة بطريقة بيوريتانية (*Puretanical*) وأنه لا توجد توبة لعبدة الأصنام
والقتلة والزناة كلها خطايا للموت ولا غفران لها حتى الزواج بدأ يتساءل فيه
(مع أن ترتليان كان متزوجا) ، أما الزواج الثانى فهو ممنوع منعاً باتاً وقد
كتب خطابا الى زوجته يحذرهما من أن تتزوج مرة أخرى بعد موته أما الصوم
فيجب أن يكون أكثر مرارا وأطول مدة وأشد قسوة • والحياة يجب أن تكون
تدريباً على الاستشهاد وانتظار نهاية الدهر الآتية سريعا •
وبدأ ترتليان ينفصل تدريجيا مع أتباعه عن الكنيسة الأم وفى سنة
٢٢٠ م اختفى ولم يعرف عنه شيء ، وقيل انه مات فى سنة ٢٤٠ م وهو شيخ
فى الأيام •

★ as Tertullian, *De Virginibus Velandis* I, P.L., II:889
quoted by H. E. W. Turner, *The Pattern of Christian Truth*,
p.314

Recommended English Readings

1. Boer Harry R. *A Short History of The Early Church*, pp. 85-87
2. Carrington, Philip. *The Early Christian Church*, Vol. II, pp. 392-399, 428-429.
3. Danielou, Jean, and Marrou Henri, *The Christian Centuries*, Vol. I, *The First Six Hundred Years*, pp. 151-157.
4. Frend, W. H. C., *The Early Church*, p. 92-94.
5. Lietzmann, Hans., *A History of The Early Church*, Vol. II, pp. 216-225.
6. Walker, Williston, *A History of The Christian Church*, pp. 64-66

ج - المشاكل الأخلاقية التي واجهت المسيحيين في القرنين الثاني والثالث

المسيحيون يعيشون كغرباء في العالم :

عندما بدأت الكنيسة تكبر وتنمو في العدد وتنتشر في كل مستويات المجتمع الروماني ، بدأ المسيحيون كأفراد يواجهون اتخاذ قرارات حاسمة في علاقاتهم بذلك المجتمع . فكيف يتعاملون يوميا مع الناس الذين يعيشون في مملكة أرضية بينما هم يعتبرون أنفسهم رعية ملكوت سماوى ؟ وقد عبر أحد الكتاب عن حالتهم فقال : " كل بلد أجنبى هو بلدهم هو بلد أجنبى لهم " .

الأحكام التي وضعت للمسيحيين :

كان معظم المسيحيين يسكنون المدن في تلك الأيام ، وبالتالي فقد واجهوا على الدوام تحديات يومية الأسلوب الذى اختاروه لحياتهم :

- ١- فهل يشترون اللحم الذى فى الأسواق وهم يعلمون أنه ذبح للوثان ؟
- ٢- هل يقلدون المجتمع فى ملبسه وطريقة كلامه ؟
- ٣- أين يذهبون لأجل التسلية ؟ هل الى حلبات المصارعة حيث تسيل الدماء أم الى الملاعب العامة حيث الحديث البذئ الفاجر أم الى البيوت العامة حيث السكر والعردة ؟

التجارب التي واجهت المسيحيين فى المدن :

لم يتفق قادة الكنيسة دائما على تحديد الحلال والحرام فى الحياة الاجتماعية ولكن كانت هناك عدة أمور يجب على المسيحي أن يتجنبها ، علاوة على التجارب العالمية الواضحة : فمثلا :

- ١- لا يستطيع النحات المسيحي أن يعمل فى تزيين المعابد الوثنية ولا أن يصنع تمثالا لاله وثنى .

٢ - لا يستطيع الأطفال المسيحيون أن يتعلموا في المدارس العامة حيث يعلمون الفلسفة الوثنية ،

٣ - كان من المشكوك فيه أن يذهبوا الى المستشفيات العامة حيث كان الكاهن يصلى لأسكولابيوس اله الشفاء عند اليونان •

٤ - كل مظاهر الفخفة والزينة الشخصية رفضوها • فالنساء يجب ألا يكحلن عيونهن أو يصبغن خدودهن بالأحمر أو يتضمخن بالعطور • يجب أن تكون الملابس غير ملونة بل مجرد رداء أبيض للرجال والنساء على حد سواء

" غطاء السرير الناعم لايجلب النوم • الطاولة لا تحتاج الى أرجل من العاج ، ولا السكين الى مقبض مرصع بالجواهر ، فالرب يسوع لم يأت من السماء بطشت فضية ليغسل أرجل التلاميذ " • ★

المسيحيون يعارضون الحرب والقتل :

كانت الخدمة في الجيش الرومانى من أعظم المشاكل التى واجهها المسيحيون ابتداء من نهاية القرن الثانى الميلادى • فكثيرون من الجنود الرومانيين قبلوا المسيحية ، كثيرون من الشباب المسيحي ذهبوا الى الجيش ، أما قادة الكنيسة فى ذلك العصر فلم يبد منهم مايدل على أنهم كانوا يعارضون الخدمة العسكرية بهذا المعنى (ليست ثمة أدلة محددة لمعارضة الحرب) ، ولكنهم اعتبروا سفك الدم تحت أى ظرف من الظروف شىء فظيع مقيت ، فالحرب كما رأوها تتعارض مع وصية الرب يسوع بأن يحبوا أعداءهم • وفى هذا الصدد قال جاستن مارتير : "الكنيسة لاتعرف الحرب " و "المسيحيون مستعدون أن يستشهدوا ويقاسوا الالام فى سبيل شهادتهم للحق ، ولكنهم لا يقتلون الآخرين " †

وقال ترتليان : "عندما أمر السيد بطرس أن يرد سيفه الى غمده • فإنه جرد كل جندى من سلاحه " • ‡

R. H. Bainton. *The Horizon History of Christianity*, ★

pp 63 66

Justin Martyr, *Dialogue with Trypho*, 110 and *Apology* †

I 39

• Tertullian, *De Corona Militis* ‡

أما هيپوليتس (Hippolytus) (فى القرن الثالث فى كتابه) " التعليم الرسولى " (Apostolic Tradition) فقد شجب الخدمة العسكرية بقوة وقال ان أى مسيحي معتمد ، اذا دخل الخدمة العسكرية فانه يحتقر الله ويجب أن يطرد من الكنيسة • والى جانب ذلك فان الجندى المسيحى لا يشترك فى تنفيذ الاعدام فى أحد ، واذا صدر اليه الامر فيجب ألا يخضع له

الحرب شئ لا بد منه حتى المسيحيين :

ومع ذلك فقد اعتبرت الحرب شيئا لا بد منه مادمنا فى العالم الشرير • ولقد كتب أكليمندس يطلب من كل مسيحي أن يبقى فى الحالة التى دعى فيها وهذا ينطبق على الجنود أيضا ★ • وقد سبق أن ذكرنا أن ترتليان وعد بالصلاة من أجل الاباطرة لكى يعطيهم الله "جيوشا باسلة" • ووجود المسيحيين فى الجندية كان يعتبر بركة للجيش الرومانى ، وقد ذكر يوسابيوس أنه فى ١٧٣ م وقعت فرقة من جيش مرقس أوريليوس فى حصار من الاعداء قرب نهر الدانوب ، فصلنى الجنود المسيحيون فى الجيش فثارت زوبعة رعديّة ممطرة فكان المطر سببا فى تجديد نشاط الرومانيين ، لكن البرق جعل الاعداء يهربون • وهكذا سميت الفرقة " فرقة الرعديين " •

الخدمة العسكرية كعبادة الاصنام :

أما أعظم مشكلة واجهت الجنود المسيحيين فكانت مشكلة الولاء • فالقسم العسكرى كان يربط الجندى بالامبراطور كالقائد الاعلى رباطا غير مشروط وهذا القسم كان وعدا من الجندى ألا يهرب من الجيش وأن يطيع كل أوامر رؤسائه وأن يموت فى سبيل الامبراطورية • وكان هذا القسم يكرر فى ثلاثة مواقف :

- ١- يوم التحاق الجندى رسميا بالجيش •
- ٢- فى أول كل سنة •
- ٣- فى عيد جلوس الامبراطور على العرش •

وكان الجنود أيضا يحرصون بشدة على الحفاظ على الرسميات ★ وكانت هذه الرسميات ترتبط بعبادة مثرا أحب العبادات الى الجنود ، وكان المسيحيون يعتبرونها عبادة أصنام •

ترتليان يشجب الخدمة العسكرية :

رأى آباء الكنيسة أن هذه الممارسات هي عبادة أوثان وانكار للمسيح • ووجدوا أن الدور الذي تلعبه الديانة الوثنية في ممارسات الجيش كلها ، دور مخيف فشجبها ترتليان بأسلوبه المعهود : "لا يمكن أن يتفق عهد الولاء لله وعهد الولاء للبشر ، المستوى الذي يتطلبه الله ومستوى الشيطان ، معسكر النور ومعسكر الظلمة ، كل الملابس الرسمية ممنوعة علينا لأنها علامة على دعوة ممنوعة بالنسبة لنا " †

جندى شهيد

في يوم ٢١ يوليو سنة ٢٩٨م وهو يوم عيد ذكرى اعلان ألوهية دقلديانوس وماكسيمان ، أعلن جندى مسيحي اسمه مارسيليوس (Marcellus) أنه لن يستمر في خدمة الجيش • وأعلن ذلك بالقاء منطقتة العسكرية وحزام سيفه وعصاه وهو واقف أمام الرموز الرسمية ★ ثم أشار الى هذه الرموز العسكرية على أنها آلهة من أحجار وخشب • ثم أعلن أنه ما دام قد دخل في عهد مع المسيح فإنه لن يحتفل مرة أخرى الوقوف أمام تلك الرموز • فما كان من روائه الا أن اتهموه باهانة المقدسات وحكموا عليه بقطع رأسه •

سيلسوس (Celsus) ينتقد المسيحيين وأوريغانوس يرد عليه :

لم يكن استعفاء المسيحيين من الخدمة العسكرية بالأمر الهين في أعين الرومانيين فكتب سيلسوس الناقد الوثني يقول : " المسيحيون من الناحية

★ الرسميات أو الرموز الرسمية يقصد بها العلم أو الشارة معلقة في عصى كان يحملها الجنود باسم الاباطرة أمام الجيش في ميدان القتال •

• Tertullian *De Corona Militus* II †

! السياسية ، يعتبرون طغيانيين لأنهم يرفضون أن يقدموا للحكام الذين يقومون
بشئون الامبراطورية ويدافعون عن سلامها ، ليس فقط التكريم الذى يستحقونه
بل الخدمة الواجبة أيضا ★

وقال سيلسوس أيضا انه لو سلك كل الناس مسلك المسيحيين لانهارت
الامبراطورية أمام الذين لا يحكمهم أى قانون • وقد أجاب أوريجانوس على
نقده بقوله :

"بينما يذهب الناس الآخرون الى الحرب ، فاننا نحن النادرون فيها ، لأننا
ككهنة وكعبيد لله نحفظ أيدينا نظيفة ، ونصلى لله من أجل الهدف النبيل
والملك الشرعى ••• اننا بصلاتنا نكون جيشا حقيقيا جيش التقوى الذى يقدم
خدمة للامبراطور أشرف من كل ما يقدمه له جنوده الآخرون " †

• Origen, *Contra Celsus*, VIII, 55. ★

† المرجع السابق 73 •

Recommended English Readings

1. Bainton, Roland H. *The Horizon History of Christianity*, pp. 63-66.
2. Danielou, Jean, and Henri Marrou. *The Christian Centuries*, Vol. I, *The First Six Hundred Years*, pp. 173-180.
3. Helgeland, John. "Christians and the Roman Army - A.D. 173-337." *Church History Quarterly*, (June 1947) pp. 151-154.
4. Latourette, K. S. *A History of Christianity*, pp. 242-245.
5. Von Campenhausen, Hans. *Tradition and Life in the Church*. Ch.7, "Christians and Military Service in The Early Church," pp. 160-170. London: Collins, 1968.

د - النضال بين عقيدة المسيح الكلمة وبين اللاهوت الملكي (manarchiam)

التفكير اللاهوتى الملكى (Monarchian) :

العلاقة بين الله الآب والمسيح الابن :

حوالى نهاية القرن الثانى الميلادى وابتداء القرن الثالث كان علماء اللاهوت يدرسون بتعمق أكثر ذلك السؤال الشائك الذى واجههم والمختص بالعلاقة بين الله الآب والمسيح الابن . فالعقيدة الثابتة الراسخة عند المسيحيين هى أن يسوع هو المسيح ابن الله مخلص العالم . ولكن الرسل وكل من عرفوا يسوع فى الجسد وتكلموا معه ولمسوه قد ماتوا وابتدأ بعض الناس فى أماكن مختلفة يتساءلون كيف يمكن هذا ؟ هل بقي الله فى السماء بينما يسوع يقوم بعمله على الأرض ؟ هل كان يسوع أزليا وفى مساواة مطلقة بالله فى سلطانه ومجده ؟ هل كان الاثنان منفصلين ومتحدين فى نفس الوقت ؟ وإذا كان المسيح مساويا لله الآب فكيف ترك المسيح السماء الى الأرض ؟

عقيدة المسيح الكلمة (Logos Christology) :

واحدى الاجابات على تلك الأسئلة تعرف "بعقيدة المسيح الكلمة". هذه العقيدة كما وردت فى كتابات المدافعين * ترتليان وهيبوليتس وصفت المسيح بالوصف الذى جاء فى الانجيل الرابع بأنه كلمة الله صار جسدا . وقالوا ان الذى تجسد فى يسوع لم يكن هو الآب الأزلى ولكنه الكلمة أو العقل الأبدى الذى ولد فى عقل الآب وكان يسكن أساسا فى ذاته ثم عمل فى الخليقة . لقد انطلق من عند الآب كما ينطلق المجرى من ينبوع أو شعاع الضوء من الشمس . وهو مثل الآب ولكنه مختلف عنه وهذا هو السر الأعظم " . †

* المدافعون هم آباء الكنيسة الذين ظهرتوا فى القرن الثانى ليدافعوا عن الايمان المسيحى أمام الرومانيين وضد الهرطقة .

• Philip Carrington *The Early Church*, Vol.II, p. 414. †

الخضوع (Subordination) :

ولكن جماعة أخرى من المفكرين بدأوا ينتقدون هذه العقيدة لأنها جعلت الابن في درجة أقل من الآب أي خاضع له . واعتقدوا أن المخلص لابد أن يكون مساويا للخالق واهتموا كثيرا بأن يبرزوا لاهوت المسيح الكامل لان هذا عقيدة المسيح الكلمة " . . . انتقصت بكيفية ما من لاهوت المسيح الابن

التفكير اللاهوتي الملكي (Monarchian Theolgy) :

لهذا ظهرت مدرستان فكريتان حاولتا أن تجدا تفسيراً أوفق للعلاقة بين الآب والابن وقد أطلق على المدرستين " الملكيين " بمعنى أن هذه العلاقة يسيطر عليها الله الآب ولكنها تحاول أن تسمو بأهمية الابن .

الملكية الديناميكية (Dynamic Monarchianism) :

والتي يطلق عليها أيضا " التبني " (Adoptionism) بدأها وحدد معناها رجل اسمه ثيودوتس (Theodotus) من بيزنطة ولكنه رحل الى روما سنة ١٩٠م ونادى بأن يسوع كان انسانا ولد من العذراء وكانت حياته مقدسة وحل عليه المسيح الالهى (أو الروح القدس) عند المعمودية ولكن بعض الذين يعتنقون هذه العقيدة يقولون أن يسوع نفسه صار الها بعد قيامته . لقد أظهر يسوع في حياته الصفات الالهية بكيفية فائقة جعلت الله يتبناه . لقد بدأ كإنسان ولكن كانت له الصفات الخاصة فكانت ارادته في توافق تام مع ارادة الله حتى انه تقوى وتمجد بطريقة الهية وصار ابن الله . وعند الملكية الديناميكية كان يسوع انسانا وصار الها وليس الله صار انسانا .

بولس الساموساتى (Paul of Samosata) :

لم يحظ ثيودوتس وأتباعه بأى قبول عند الكنيسة الغربية نظرا لاعتناقه عقيدة " التبني " (Adoptionism) ولكن بولس الساموساتى الذى كان ينادى بنفس العقيدة (وهو أسقف أنطاكية ٢٦٠ - ٢٧٣) فقد كان أكثر منه توفيقا في الكنيسة الشرقية . ذلك فقد فحصت أراؤه أمام ثلاثة مجامع ، وأخيرا رفضت واعتبرت هرطقة .

الملكية الانتحالية (Modalistic Monarchianism) :

وتسمى أيضا (Patra Passionism) (معناها " الآب يتألم ")
والسابليانية (من اسم سابلْيوس) • هذه الجماعة كادت تضع الابن على قدم
المساواة مع الآب تقريبا وشرحوا العلاقة بين الله والابن والروح القدس بقولهم
ان الآب قام بعمله في ثلاث صور أو وظائف مختلفة ، مثله في ذلك مثل الممثل
الذى (يلبس على خشبة المسرح ثلاثة أقنعة مختلفة حسب الدور الذى يؤديه
وقد استخدموا الكلمة اليونانية (Prosopon) والتى تعنى قناع الوجه على
المسرح) • فالله يعلن نفسه بطرق مختلفة حسب الظروف فكان هو المعطى
الناموس فى العهد القديم • وكابن تجسد وكالروح فهو ملهم الرسل • فعند
الانتحاليين " كان يسوع الله صار انسانا وليس انسانا صار الها •

أما الخطأ فى عقيدة الملكيين الانتحاليين ، وبخاصة فيما يتعلق
بالمسيح فكان خطيرا فهى تعنى أن الله الأسمى خالق الكون قد ولد من عذراء
وعاش كإنسان بين الناس وتألم ومات على الصليب • ولقد كتب ترتليان يصف
واحدا من هذه الجماعة اسمه براكسياس (Praxeas) قائلا " لقد قام
براكسياس بعملين من أعمال الشيطان فى روما • فقد طرد النبوة وأتى بدلا
منها بالهرطقة • لقد طرد الروح القدس وصلب الآب " * ومن الناحية الأخرى
كتب هيپوليتيس (١٧٠ - ٢٣٦) ، وقد كان من أعنف المهاجمين لهذه
الجماعة • كتب يقول عن شخص اسمه كليومينس " لقد أعلن كليومينس
(Cleomenes) وأتباعه أن المسيح هو اله وأب الكون " † •

رفض الملكية الانتحالية :

استخدمت هذه الجماعة كثيرا من الشواهد الكتابية للدفاع عن موقفهم
مثل : " أنا والآب واحد (يوحنا ١٠ : ٣٠) " " من رآنى فقد رأى الآب
(يوحنا ١٤ : ٩) " " الله كان فى المسيح مصالحا العالم لنفسه " (٢
كورنثوس ٥ : ١٩) • الخ ولكن النتائج التى وصلوا اليها كانت متطرفة
رفضتها الكنيسة • وقيل عنهم انهم أرادوا أن يدافعوا عن ألوهية المسيح على
حساب ألوهية الآب •

Tertullian, Against Praxias I ★

Hippolytus, Refutation of All Heresies, IX, 10.

ولقد نشب الصراع بين المدافعين عن عقيدة الكلمة (Logos) والمدافعين عن الملكية في سبيل إيضاح هذا الموضوع الأساسي في الفكر اللاهوتي المسيحي ، وبذلك دخلوا بالكنيسة الى عصر جديد . كان ممكناً أن تحل بعض المشاكل ، ولكن الكنيسة انقسمت انقساماً لم تتحد بعده أبداً .

Recommended English Readings

- 1 Megiffert, A . C. *A History of Christian Thought*, Vol.I, pp. 232 - 245.
- 2 Walker, Williston . *A History of the Christian Church*, pp. 67 - 71

هـ - المسيحية في الاسكندرية

الاسكندرية مركز للحياة المسيحية :

كانت الاسكندرية واحدة من أعظم مدن البحر الأبيض المتوسط . وكانت أيضا مركزا للثقافة الهيلينية كما كانت عاصمة عالمية جاء اليها أصحاب الفلسفات والعقائد المتنوعة ليدرسوا في مراكزها العلمية . وكانت مكتبتها الشهيرة لاتضارعها مكتبة أخرى في العالم . أما عن كنيستها فلا شك في أنها كانت كنيسة نشيطة رغم أن السجلات التاريخية صمتت صمتا غريبا عن ذكر شيء عن الحياة فيها ، ولكن منذ نهاية القرن الثاني يظهر الكثير من الحياة والفكر المسيحي بدرجة تجعلنا نندهش لماذا لم يسجل المؤرخون تاريخ الفترة المبكرة التي تصل الى قرنين ، أو لماذا اندثرت كتابتهم عنها ؟

المدرسة اللاهوتية :

في ذلك الوقت (نهاية القرن الثاني) ظهرت مدرسة لاهوتية يديرها ويرأسها شخص اسمه " بانتانيوس " (Pantaenus) ، يقول عنه تاريخ الكنيسة المصرية انه كان مرسلا الى الهند . ولانعرف الا القليل عن هذه المدرسة ، والأرجح أن الكنيسة أقامتها لتواجه المدارس الوثنية والهرطوقية الأخرى وبخاصة مدارس الغنوسيين ، ولتواجه أيضا الفكر الوثني والفلسفة اليونانية كما كان منتشرا في الاسكندرية . ولقد لعبت هذه المدرسة دورا هاما في تطور الكنيسة ففيها تعلم اثنان من أعظم مفكرى المسيحية : أكليمندس الاسكندري وأوريجانوس .

أكليمندس (Clement) (١١٥ - ٢١٥ م)

حياة اكليمندس

ربما كان هذا الرجل أكليمندس الذي أطلق عليه لقب " الشيخ المبارك " من أصل أثيني . وكان وثنيا في حياته ودرس فلسفة أفلاطون ولكنه

تجدد وصار مسيحيا فى الاسكندرية والتحق بالمدرسة اللاهوتية ثم أصبح بعد بانتانيوس رئيسا لها • ولكن عندما بدأ الاضطهاد الذى شنه سبتيموس سيفروس (٢٠٢ - ٢٠٣) ترك أكليمندس الاسكندرية وسافر الى اورشليم وأنطاكية ولعله ظل هناك الى أن مات •

أكليمندس يربط الفلسفة باللاهوت :

كان أعظم مأسداه أكليمندس فى مجال الأبحاث اللاهوتية - مع أنه لم يكن صاحب مدرسة لاهوتية - ان الفلسفة والدين يتفقان ولا يتضادان ، فلم يكن كترتليان الذى هاجم الفلاسفة ، لكنه رأى فى الفلسفة وسيلة لفهم الايمان المسيحى وبخاصة معرفة الله • لقد قرأ وبحث فى كل مجالات الفكر والآداب والبحوث العلمية اليونانية • وكان يؤمن بأنه يجب على المسيحيين أن يستطيعوا تفسير رسالتهم فى أساليب وعبارات مفهومة للثقافة التى يعيشون فى وسطها فيقول : " اذا ارادت المسيحية أن تنتشر فى العالم اليونانى فيجب عليها أن تخلع لباسها السامى وتلبس لباسا يونانيا وتتكلم لغة أفلاطون وهوميروس " ★ • وقد فعل ذلك فوضع علم اللاهوت القويم فى شكل وثوب جديد ! وكان ضليعا فأمكنه أن يفعل ذلك دون المساس بالعقائد الأصلية • فنجد فى كتاباته النبوة اليهودية ، والفكر اللاهوتى المبني على اللوجوس ، وكتابات الرسل ... الخ لذلك فقد اعتبره الكثيرون متاهلا أو "متحررا" اذ يربط الفلسفة بالايمان فلم يضعوا اسمه فى قوائم آباء الكنيسة الأوائل • وأهم أعمال أكليمندس المعروفة هى : "بروتربتيكوس" (Protrepitkos) - دعوة الى الوثنيين - "باداجوجس" (Padagogos - المعلم أو المرشد الأبناء) ، (ستروماتيس Stromateis - السجادة أو أفكار متنوعة) •

موقف أكليمندس من الفلسفة :

لم يقبل أكليمندس الفلسفة بدون أن ينقدها ولكنه كثيرا ما كان عنيفا فى نقده لبعض أتباع أفلاطون ومذهب المتعة عند الأبيقوريين • وقال مرة عن السفستائيين " انهم كالأحذية القديمة - بليت كلها ماعدا ألسنتها " وكان

يفضل أن "يسخر" الفلسفة ، بمعنى أنه لم يكن يقبل كل ما كان يبشر به الرواقيون والأفلاطونيون والأبيقوريون وأتباع أرسطو ولكنه استخدم كل ما هو صالح من أقوال جميع هذه المذاهب مما يدعو إلى البر والتقوى " (Strom 1:7) •

قيمة الفلسفة

شرح أكليمندس قيمة الفلسفة فيما يأتي : " ان كانت الفلسفة اليونانية لا تستطيع أن تدرك الحق في كماله ... لكنها — على الأقل — تمهد الطريق للتعليم الملكى ... وذلك بأن تجعل الناس منضبطين وذلك بتشكيل أخلاقهم وجعلهم مستعدين لقبول الحق " • (ستروماتوس ١: ٨٠) • وكان يعتقد أن أفاضل الفلاسفة • قد أخذوا معرفتهم من الله بطريقة العهد القديم وقد شرح ذلك فى "الاستروماتس" (١: ٥) بقوله : " الله هو مصدر كل الأشياء الصالحة " ، ولكن " أساسا " لبعض منها كالعهد القديم والعهد الجديد ، (وثانويا) بعض الأشياء الأخرى كالفلسفة • فمثلا أعطى الله الفلسفة لليونانيين أساسا ومباشرة إلى أن يأتى الوقت الذى فيه يدعو الرب اليونانيين • فكانت الفلسفة لليونانيين كالناموس لليهود مؤديا لهم إلى المسيح • وقد وصل أكليمندس إلى حد قوله : " لقد رأى أولئك الفلاسفة اليونانيون الله عن طريق الصور والرؤوس المباشرة " (ستروماتوس ١: ١٩) •

متوازيات فلسفية

وقد حاول أكليمندس أن يشرح عدم تناقض الفلسفة مع الدين بواسطة المتوازيات ، فكان يستخرج من الأساطير اليونانية القصص التى تشابه قصص العهد القديم • مثل الخلق والسقوط والطوفان وبرج بابل • وكما كان "مينوس" (Menos) وسيط الشريعة للكريتيين ، هكذا كان موسى لليهود • وكان أورفيوس يعزف على القيثارة قبل داود • ورأى فى قصة عوليس (Ulysses) فى الأوديسة الذى كان عليه أن يبحر مارا بالجنيات المغنيات تشبيها لرحلة الايمان فقال " تجلس جنيات البحر على الصخور وتغنى أغانى العالم حتى تدعو للمتعة الدنيوية " ، ولكن المسيحى يجب أن يظل فى السفينة التى يقودها " الكلمة " ويربط نفسه ، كما فعل عوليس ، بالصارى وهكذا يصل سالما

الى الميناء السماوى ★ بل لقد شبه الصلة بين الفلسفة اليونانية والعهد القديم بالصلة التى كانت بين زوجتى ابراهيم سارة وهاجر •

غنوسية أكليمندس المسيحية :

كانت أهم قضية تشغل بال أكليمندس هى تلك التى اختار أن يسميها " الغنوسية المسيحية " فكما سبق أن رأينا كانت الاسكندرية مركزا للتعاليم الغنوسية وكان موقف أكليمندس منها ليس رفض كل مفاهيمها ولكنه قال ان هناك غنوسية صحيحة تختص بيسوع المسيح • وكما يأخذ الانسان نسمة روح الله عند خلقه ، هكذا يستطيع أن يجد الطريق الى معرفة الله المعرفة الكاملة باتباعه وطاعته ليسوع المسيح ، هذا هو خلاص الانسان الذى يتطلب تدريباً طويلاً وشاقاً فى السيطرة على النفس بواسطة الصلاة والتأمل مدفوعاً بمحبة الله • فمحبة الله هى العلاقة المميزة للغنوسية المسيحية • هذه المحبة يجب أن تظهر بشكل ظاهر فى الولاء لعضوية كنيسة الله • ولقد اعتقد أكليمندس أنه بواسطة معرفته الغنوسية ، أن يفتح الطريق الى السماء ويشارك الملائكة حول عرش الله • بل لقد ذهب الى أبعد من ذلك بقوله : ان الغنوسى المسيحى يصبح مثل الله ، عندما يسترجع صورة الله التى فقدتها فى جنة عدن ، فالمعرفة تعطى الخلاص ، فهما لا ينفصلان ، ولو خير الغنوسى المسيحى الصادق بين الاثنين لاختار معرفة الله وليس الخلاص (استروماتوس IV : ٢٢) •

تأثير الأفلاطونية :

نستطيع أن نعرف تأثير الفكر الأفلاطونى والغنوسى على فكر أكليمندس اللاهوتى بصورة أكثر وضوحاً فى هذه المقتطفات :

" ان الذبيحة المقبولة لدى الله هى التجرد الدائم من الجسد وشهواته فهذه هى التقوى الحقيقية ، ولذلك ألم يكن سقراط محقاً عندما قال

ان الفلسفة هى ممارسة الموت ؟ لأن الذى لا يستخدم بصره عندما يفكر ولا يستعين بشئ من الحواس الأخرى ، بل يصل الى الأشياء بالعقل المجرد ، هو الذى يتبع الفلسفة الصحيحة " (استروماتس VI : ١١) •

نستطيع اذا أن ندرك طريق التطهير بالاعتراف وطريق التأمل بالتحليل • • فنزيل من الجسد امكاناته الطبيعية ونجرده من أبعاده : العمق ثم الاتساع ثم الطول ••• فاذا نمينا كل ما هو للجسد ، حينئذ نلقى بأنفسنا فى بحر المسيح الزاخر ثم بالطهارة نتعمق فى الفضاء فنستطيع بكيفية ما أن نصل الى فهم القدير بمعرفة ما هو بل مالميس هو فلا الشكل ولا الحركة ولا الوقوف ولا العرش ولا الجلوس ولا اليمين ولا اليسار يمكن أن تنسب الى الآب بتاتا مع أنها مكتوبة • ولكن ماذا يعنيه كل من هذه الاشياء المكتوبة سوف يظهر فى مكانه اللائق • فالمسبب الأول ليس فى الفضاء بل يسمو على الزمان والمكان والاسم والفهم (استروماتوس V : ١١) •

مكان الايمان

كان أكليمندس يعترف بأن هناك مكانا للايمان ولكنه اعتبره أقل منزلة من المعرفة فالذين لهم الايمان دون المعرفة هم أقل شأنا من الذين لهم المعرفة • ومع ذلك فقد قال ان هناك مكانا فى الكنيسة للناس ذوى الايمان البسيط وعلى الآخرين الاحتراس من أن يعثروهم • ولقد كان أكليمندس ينتقدهم بشدة ردا على نقدهم هم له ، وقد استخدم فى الحديث عنهم أسطورة عوليس اليونانية فقال :

يلوح لى أن غالبية من يدعون أنهم مسيحيون يتشابهون أصحاب عوليس • فهم يقتربون من العقيدة مثل الفلاحين الذين يخافون المرور بجنيات البحر (المغنيات المغويات) دون أن يقفلوا أذانهم لأنهم يعرفون ماذا يحدث لو أصغوا الى دروس اليونان فلا يمكن أن يرجعوا مرة أخرى الى بيوتهم أنهم يدعون أنهم يمتلكون الايمان — فقط وليس سوى الايمان — وكأنهم يظنون أنهم يجتنون العنب دون أن يهتموا بالكرمة " •

عقيدة أكليمندس فى المسيح الكلمة :

تعتبر عقيدة المسيح الكلمة واحدة من مميزات فكر أكليمندس ، فالمسيح

هو المعلم الحقيقي الذى يعطى الناس " الكلمة " التى تقودهم الى الحرية من الخطية ، والى البر والخلود ، والكلمة (المسيح) هو فوق عالم البشر وفى عالم البشر ، فهو سماوى بل هو الله نفسه وليس أقل من الله أو تابعا لله . فالكلمة " يخلق الله ويحكم ويعلن . والله فى ذاته بعيد جدا . ولا يمكن الوصول اليه ، ولكنه فى " الكلمة " قريب ويحيا فى كل كائن . ولقد قبل أكليمندس قصة الأنجيل عن مولد المسيح وحياته وموته وقيامته وصعوده ، ولكنه لم يستطع أن يكون عقيدة واضحة للخلاص فيها تلعب آلام المسيح وموته دورا فدائيا ، ولكنه اعتقد بأن " الكلمة " اتخذ له جسدا وظهر فى يسوع المسيح ليعلم الناس بأكثر وضوح واقناع وبواسطة المثال الذى يعطيه فى حياته ، يؤثر فى الناس لى يختاروا طريق الحياة بدلا من الموت . وكان أكليمندس يضع أمامه مثالا فلسفيا ليعرف الألم ، وهذا ما جعله يتصور كمال المسيح بهذه الكيفية " فهو (المسيح) نفسه كان غير معرض للانفعال ولم تدخله أية حركة عاطفية سواء سرورا أو ألما (استروماتس VI) . ولهذا السبب فلم يكن للعمل الفدائى الذى قام به المسيح على الصليب ولا للعبادة التى بنيت عليه مثل العشاء الربانى وتقديم المسيح نفسه كفارة أى لم يكن لشيء من ذلك أهمية كبرى فى فكر أكليمندس .

موقف أكليمندس من الكتاب المقدس :

كتب أكليمندس يقول ان الكتاب المقدس نافع لكل مسيحي ولكن لا يعرف عمقه أو حقائقه بالكامل الا المسيحي العارف (Gnostic) . ولكى يفهم المعنى الاعمق للكتب المقدسة عليه أن يستخدم كل علوم الفلسفة والأخلاق وعلم النفس والطبيعة وماوراء الطبيعة ، فبهذه الوسائل يستطيع المسيحي العارف أن " يستخرج من الكتاب المقدس كل المعرفة ، يعرف الماضى والحاضر والمستقبل ، ويصل الى كل هذه " (استروماتس VI) والمسيحي العارف " لا يصغى فقط الى كلمات الكتاب المقدس ولكنه يفتح نفسه لما هو مستتر تحت الكلمات من حقائق يكتشفها وأعمال يقوم بها " (استروماتس VII) .

أكليمندس والصلاة :

ولقد كرر أكليمندس على حياة الصلاة فوصفها بأنها شركة مع الله :

نعيش كل حياتنا كأننا فى عيد • واذا نعرف أن الله حاضر فى كل مكان ، فاننا نسبح ونحن نعمل فى الحقل ونرنم ونحن نبحر فى البحر • • • والمسيحى العارف (Gnostic) يعيش قريبا من الله • • • يسمع دائما كل أنات القلوب • • • المسيحى العارف (Gnostic) يصلى كل أيام حياته مجاهدا فى الصلاة لتكون له شركة مع الله •

أكليمندس والاستشهاد :

كان كل مسيحى فى ذلك العصر يشعر بأنه يمكن أن يموت من أجل الايمان مع أن أيام الاضطهاد المروع لم تكن قد حانت • وكانت الرغبة فى الاستشهاد عند البعض قوية لدرجة أنهم قاموا بأفعال غير عادية حتى يقبض عليهم ويعترفون • ولكن أكليمندس كان شديد الانتقاد لهذا " الهوس الاستشهادى " " اننا نقول ان أولئك الذين يركضون الى موتهم (• • • هناك جماعة يشاركوننا الاسم يسرعون الى تسليم أنفسهم — انهم يتسابقون الى الموت لأنهم يكرهون الخالق) ، نقول انهم يتركون الحياة ليس كشهداء حتى ولو وقع بهم القصاص علنا أمام الناس ، اذ أنهم لا يحملون العلامة الصحيحة للاستشهاد لأنهم لا يعرفون الله الحقيقى فيقدمون أنفسهم للموت الزؤام كما يفعل فقراء الهنود الذين يلقون بأنفسهم للنار الملتهبة " (استرومانس IV : ٤) •

وكان أكليمندس يؤمن بأن الاستشهاد الصحيح هو الذى يتحمله الانسان عندما لا يكون هناك مفر منه فى نهاية حياة كرسى بتمامها لمحبة الله • فالمحبة لله تتطلب الأكم وفى نفس الوقت تتطلب حفظ وصاياه وتفهمها • ولهذا فالاستشهاد عند أكليمندس هو عمل يومية يتضمن الكلمات والحياة والسلوك ، كل الانسان • ومن السهل تماما أن ندرك أن هذه الكلمات كانت هى البذار الذى أنتج حياة الزهد والحركة الرهبانية التى أطلق عليها الاستشهاد الأبيض " •

أكليمندس يربط الفلسفة الهلينية بالفكر السامى :

هناك بعض نقط الضعف فى تفكير أكليمندس ، كما اتضح لنا من قبل • ومن السهل أن ندرك لماذا لم يعتبر " أرثوذكسيا " لم يكن له فكر لاهوتى متكامل ، ولكنه اهتم بمجموعة من الأفكار اللاهوتية قبل المعرفة والمحبة وكتب

عنها بكل عواطفه كتابة رائعة ، كان رجل زمانه لأنه استطاع أن يسخر الامكانيات المعاصرة والفلسفة ليربط بين الفكر الهليني والفكر السامي في الأسفار المقدسة (Semitic) ووضع أسلوبا في الفكر اللاهوتي تأثر به علماء الاسكندرية والشرق لسنوات طويلة لاحقة على الأخص ، فتح طريقا لرجل عظيم فاقه في العلم هو أوريجانوس •

Recommended English Readings

- 1 Al Masry, Iris Habib. *The Story of the Copts*, pp. 25 - 28. (also in Arabic)
- 2 Carrington, Philip. *The Early Christian Church*, Vol. II, PP. 404 - 412.
- 3 Danielou, J. and Marrou, H. *The Christian Centuries*, Vol. I, *The First Six Hundred Years*, pp. 127 - 133.
- 4 Frend, W. H. C. *Martyrdom and Persecution in The Early Church*, pp. 258 - 267.
- 5 Latourette K. S *A History of Christianity*, pp. 146 - 148.
- 6 Lietzmann Hans. *A History of The Early Church*, Vol. II, pp. 274 - 294.
- 7 McGiffert, A. C. *A History of Christian Thought*, Vol. I, pp. 177 - 207.
- 8 Walker, Williston. *A History of The Christian Church*, pp. 72 - 73.

٢ - أوريجانوس

(أ) حياة أوريجانوس

حياة أوريجانوس الأولى :

يرجع الفضل الى المؤرخ يوسابيوس (فى كتابه السادس من تاريخ الكنيسة) فى أنه زودنا بمعلومات كثيرة عن حياة أوريجانوس تفوق مانعرفه عن أكليمندس فقد ولد فى عائلة مسيحية غنية فى الاسكندرية سنة ١٨٥ م . وأظهر تفوقه فى سن مبكرة . وقد نال قسطا وافرا من التعليم فى منزل والديه . ولكن أباه مات شهيدا سنة ٢٠٢م عندما شبت نيران اضطهاد سبتموس سفيروس ضد المسيحيين . وكان أوريجانوس يشجع أباه على الثبات على المبدأ . وبعد موته أراد أن يقتفى أثره ويلقى بنفسه فى نار الاستشهاد ، لولا أن أمه أخفت عنه ملابسه حتى لا يذهب الى الموت بقدميه وكان الخجل من الجرى عاريا فى الشارع أقوى من خوف الموت ، فمنعه من ذلك ومنذ ذلك الوقت نشأ أوريجانوس فى بيت امرأة غنية لأن كل ممتلكات أبيه صودرت . وفى ذلك المكان بدأ يتعرف على الغنوسية وبدأ يتعلم كيف يحارب ضدها .

أوريجانوس المعلم :

كان أوريجانوس صغير السن عندما بدأ يتكسب عيشه من اعطاء دروس فى كافة العلوم لطالبي العلم الذين كانوا يأتون اليه فى منزله ، وفى نفس الوقت كان يعلم مبادئ المسيحية بالرغم من تهديدات الرؤساء . أما المدرسة اللاهوتية فقد أغلقت أبوابها بعد أن ترك أكليمندس البلاد ، لهذا بدأ تلاميذها يتجمعون حول أوريجانوس . وبعد أن اعترف الأسقف ديمتريوس بمدرسة " أوريجانوس ، كيف كف هذا المعلم الماهر من اعطاء الدروس فى مواضيع أخرى ، وانقطع للتعليم الدينى ، وكان مرتبه صغيرا . فعاش عيشة الكفاف فى كل شيء ، وصار مثالا فى حياة الزهد ، مكتفيا بأقل القليل من

الطعام واللباس وحرَم على نفسه حتى النوم • وبلغت به حماسته المثالية جدا جعله يفسر كلمات المسيح فى (متى ١٩ : ١٢) تفسيراً عملياً طبقه على نفسه • وحالا صار أوريجانوس معروفا معرفة كاملة فى الاسكندرية نظرا لبراعته فى التعليم ولحياته الصارمة فانخذ له مساعدا اسمه "هيراكلاس" •

أساتذة أوريجانوس :

يذكر يوسابيوس أن أوريجانوس كان تلميذا لأكليمندس ، ويبدو هذا أمرا طبيعيا لولا أن أوريجانوس لم يذكر اسم أكليمندس ولو مرة واحدة فى كتاباته مع أنه يذكر بالتقدير "بانتنوس" (Pantainos) ، ويخص بالتقدير الكبير فيلسوفا وثنيا اسمه "أمونيوس سكاس" (Ammonios Sakkas) لأنه علمه فلسفة أفلاطون • ولقد ساعده على التفقه فى هذه الفلسفة الأفلاطونية التى كان لها أكبر الأثر فى كتاباته اللاهوتية •

طريقة أوريجانوس فى التعليم :

فى تلك الأيام (قبل اختراع الطباعة بقرون كثيرة) كان التعليم عن طريق التلقين الشفوى كما كان يفعل سقراط • وكان أوريجانوس يفعل ذلك اذ أوتى موهبة الشرح المنطقى والايضاحات المعبرة الحية التى تجعل الدرس ينبض بالحياة أمام التلاميذ المتجمعين عند قدميه • ولقد حفظ التاريخ تقديرا كبيرا له من شخص اسمه "جريجورى توماتورجس" (Gregory Thaumaturgus) (الذى صار فيما بعد رسولا لأرمينية) اذ يقول عنه فى وصف تدريسه ان أوريجانوس يقود تلميذه خطوة خطوة حتى يصل به الى أعلى مستوى من التعليم الفلسفى • كان يبدأ بالتفكير الفلسفى البسيط ثم يستخدم طريقة سقراط فى السؤال والجواب ثم يدخل بالطالب الى المنطق والحوار ومن ذلك الى العلوم والرياضة والهندسة والفلك وأخيرا الى الأخلاق واللاهوت وكان الأخلاق عند أوريجانوس أكثر من مناقشة قضايا أخلاقية ، بل كانت كما يصفها "جريجورى" (Gregory) "تدريب النفس لتحقيق الفضائل الفلسفية" التى ظهرت بكل وضوح فى حياة أوريجانوس نفسه التى تميزت بالزهد والتقشف وكذلك كانت الفلسفة عنده أكثر من مجرد تخمينات عقلية عن الحقيقة ، ولكنها تركز على الحق المطلق للكتاب المقدس حيث تصل الحكمة فيه الى ذروتها فى معرفة الله •

امتداح جريجورى لاوريجانوس :

ولقد وصل جريجورى الى أقصى حد فى امتداح أوريجانوس كمعلم
وكشخص :

" ولقد اشتعلت فى نفسى شرارة المحبة من نحو الله أعظم ماتصبو اليه نفسى
لجماله الذى لا يوصف الكلمة القدوس الذى كله مشتبهات وكذلك من نحو ذلك
الانسان (أوريجانوس) خليله ونبيه • وقد جعلتنى محبته التى ملكت على كل
شيء أن أنسى كل ما يختص بى : شئونى الخاصة ، دراساتى حتى القانون الذى
أحبه ، البيت وأقربائى فيه ، وكل من أعيش بينهم • هناك شيء واحد عزيز
على : الفلسفة ومعلمها ، ذلك الانسان السماوى " (أوريجانوس) •

أوريجانوس فى الجزيرة العربية :

فى سنة ٢١٣ م سنحت الفرصة لأوريجانوس ليسافر الى روما ثم الى
العربية ، وقيل ان حاكم البصرة (العاصمة) العسكرى أرسل كتيبة عسكرية
لاستقباله وهناك كانت له مناقشات مع الأسقف بيرلس (Beryllus) الذى كان
يتمسك بعقيدة التبني وقد استطاع أوريجانوس أن يقنع بيرلس بخطأه قبل
رجوعه الى الاسكندرية •

أوريجانوس فى قيصرية :

وفى سنة ٢١٥ حدث اضطهاد جديد بأمر الامبراطور كاركالا جعل
أوريجانوس يلجأ الى قيصرية وهناك دعاه الأسقف ليحاضر قادة الكنيسة ، فلما
سمع الأسقف ديمتريوس أسقف الاسكندرية ذلك استدعاه الى الاسكندرية لأنه لم
يكن لائقا كما يقول الأسقف أن يعظ أوريجانوس العلمانى للكهنة وقيل أيضا ان
ديمتريوس كان يغار من أوريجانوس وشهرته فأراد أن يرجع ليسهل السيطرة
عليه ومراقبة نشاطه •

ديمتريوس يطرد أوريجانوس :

بعد ذلك بخمسة عشر يوما ، مر أوريجانوس على قيصرية (فعينه
أصدقاؤه هناك شيخا) ولم يكن شائعا أن يرتسم شخص بعيدا عن الأبروشية
التي يتبعها ، وأكثر من ذلك لأنه كان خصيا وهو ما يمنعه عن تولى أى مركز

كنسى لذلك رقص الأسقف ديمتريوس هذه الرسامة ولم يعترف بها وحرمه وطرده
من رئاسة المدرسة اللاهوتية •

أوريغانوس والامبراطورة :

وكان من سعة شهرة أوريغانوس عندما كان فى قيصرية ، أن دعتة
الامبراطورة جوليا ماميا (Julia Mamaea) ليذهب الى أنطاكية ويناقش
معها بعض " القضايا اللاهوتية " ولقد بلغ من تأثر أوريغانوس بالامبراطورة أنه
أطلق عليها لقب " مفخرة الجميع " وفى مرة أخرى تسلم أوريغانوس خطابات
مشحعة من الامبراطور فيليبس (العربى) الذى كان يوسابيوس يعتبره
مسيحيا •

تعذيب أوريغانوس وموته :

اتخذ أوريغانوس قيصرية موطناً له مكرساً نفسه للتعليم والكتابة الى
٢٤٩م حينما حدث اضطهاد " ديشيان " (Decian) • وأخيراً قبض على هذا
الرجل - الذى كان يشجع الكثيرين على مواجهة الاضطهاد - والاستشهاد -
وتعرض للتعذيب • ويقال ان الرومانيين كانوا يتحاشون أن يقتلوا رجلاً مشهوراً
جداً كأوريغانوس ، ولكن قوته خائته نظراً لكبر سنه وللتعذيب الشديد الذى
تعرض له فيما بين ٢٥٣ أو ٢٥٤م فى تاير •

(ب) أوريغانوس الكاتب

ومفسر الكتب المقدسة :

اشتهر أوريغانوس بانتاجه الأدبى ، وقد وردت تقديرات مختلفة لعدد
الكتب التى كتبها • فقد ذكر أبيتانيوس أنها " ستة آلاف " • أما بامفيلوس
فيقول " انها ألفان " ولكن جيروم يقول " ثمانمائة " ويتساءل جيروم فى
استنكار : " من الذى استطاع أن يقرأ كل ماكتبه أوريغانوس ؟ " ولقد ساعد
على حفظ حكمة أوريغانوس وتراثه رجل غنوسى صار مسيحياً على يدي
أوريغانوس اسمه " امبروزيوس " (Ambrosius) فقد أنفق كثيراً على

أوريغانوس حتى انه استأجر سبعة نسخ ، أو أكثر ، لكي يسجلوا محاضراته ثم بعد ذلك ينشرونها . ولقد كتب أوريغانوس = بخاصة في أواخر حياته - كتباً كثيرة وضخمة . وكانت بعض كتاباته دفاعية ، وبعضها تفسيراً للكتاب المقدس ، وبعضها من اللاهوت الكتابي . وكم نأسف لأنه لم يبق من كتاباته الأصلية سوى نتف صغيرة .

المبادئ (De Principiis) :

هذا العمل العظيم لا يوجد الا في ترجمة لاتينية قام بها روفينس (Rufinus) غير أنه غير بعض الأجزاء حتى تتفق مع فكره اللاهوتي . وهذا الكتاب " المبادئ " يعتبر أول كتاب كتب يشرح الفكر اللاهوتي المسيحي دون أن يكون موجهاً ضد الهرطقة ★ بذلك خلق فرعاً جديداً من العلم : " الفكر اللاهوتي الكتابي " بمعنى الفلسفة التي منها يمكن شرح كل جوانب العالم . وهكذا أعطى أوريغانوس للعالم أول نظرية للمعرفة مبنية فقط على المعتقدات المسيحية ومهيئة الطريق لظهور ... الأبحاث الشاملة التي ظهرت في القرون الوسطى †

معرفة أوريغانوس بالكتب المقدسة :

لم يكن بين لاهوتي ذلك العصر من يضارع أوريغانوس في معرفة الكتب المقدسة ويكتب عنه المؤرخ الكنسي ليتزمان : " عاش أوريغانوس مع الكتاب المقدس بكيفية لم ينافسها فيها أحد الا لوثر . وكل معرفة وصل اليها كانت عن طريق هذا الكتاب ، ففيه وجد الوصايا التي بنى عليها حياته الأخلاقية ، ووجد منه التعاليم التي قادتته الى طريق الكمال ، وفيه يسمع صوت اللوجوس الذي أشبع جوعه اليوناني للمعرفة ، والذي أعطاه وعد الحياة الأبدية " (Lietzmann, H. A History of The Early Church, Vol. II, p. 316.)

Turner, H. E. W. *The Pattern of Christian Truth*, p. 318. ★

Johnson, Paul. *A History of Christianity*, pp. 58-59. †

الهكسابلا (The Hexapla) :

ليس لدينا دليل على مدى معرفة أوريجانوس باللغة العبرية ، ولكنه اهتم بالعهد القديم اهتماما بالغاً ودرس التفاسير اليهودية واستشار العلماء اليهود ، وكان نتيجة ذلك العمل الجبار والدراسة العلمية الفريدة مما لم يعهده عصره ، وهو الهكسابلا الذى استمر فى كتابته ١٤ سنة والهكسابلا معناها ، " السداسية " فهى عبارة عن ترتيب عدة ترجمات للعهد القديم فى ستة أعمدة كالآتى :

(١)	(٢)	(٣)
النص	العبرى	ترجمة اكيلا
العبرى	مكتوبا بحروف	اليونانية
الأصلى	يونانية	
(٤)	(٥)	(٦)
ترجمة سيماخوس	الترجمة	ترجمة تيودوريوس
اليونانية	السبعينية	اليونانية
	اليونانية	

ولقد لاحظ أوريجانوس الاختلافات وأشار الى ما حذف من بعض النصوص ثم أضاف عمودا آخر لترجمة أخرى لسفر المزامير • وبذلك كانت الهكسابلا أصدق دراسة نقدية قام بها عالم فى ذلك العصر •

التفسير المثلث للكتاب المقدس :

كان تفسير أوريجانوس للكتاب المقدس تفسيراً مثلثاً :

- (١) التفسير الظاهرى الحرفى وذلك للبسطاء وغير المتعلمين •
- (٢) هناك تفسير أخلاقى يجب أن يستخلصه القارئ •
- (٣) أما التفسير الثالث وهو أسماها فهو التفسير الروحى المشتق من التفسير المجازى أو الرمزى •

وقد بنى أوريجانوس نظريته هذه على أساس بعض ما جاء فى الترجمة السبعينية كما فى (أمثال ٢٢ : ٢٠ ، ٢١) • " ألم أكتب لك

أمورا شريفة من جهة مؤامرة ومعرفة لأعلمك فسلط كلام الحق لترد جواب الحق للذين أرسلوك " أو الثلاث طرق لتقديم القربان المذكورة في (لاويين ٢ : ٤ - ٧) . إذا قربت قربان مقدمة مخبوزة في تنور تكون أقراصا من دقيق ملتوتة بزيت ورقاقا فطيرا مدهونة بزيت وإذا كان قربانك مقدمة على الصاج تكون من دقيق ملتوتة بزيت فطيرا . تفتها فتاتا وتسكب عليها زيتا انها مقدمة . وان كان قربانك مقدمة طاجن فمن دقيق بزيت تعمله . أو عصى هارون التي أفرخت : " أخرجت فروخا وأزهرت زهرا وأنضجت لوزا " (عدد ١٧ : ١ - ١١) أو الآبار الثلاث التي حفرها اسحق (تكوين ٢٦ : ١٧ - ٢٢) .

(هذه الأمثلة مأخوذة من مواعظ أوريغانوس ٧ : ١٧٥ : ٧)
وفي كتاب المبادئ (١٧ ، ٢ : ٤) يكتب أوريغانوس : " كما أن الانسان جسد ونفس وروح هكذا الكتاب المقدس له المعنى الجسدي (الظاهري) ، والنفسى (الأخلاقى) والروحى (الرمزى) ، وهذا المعنى الأخير هو أسماها جميعا " .

الفهم التدريجى للكتاب المقدس :

ويستخدم أوريغانوس الفهم التدريجى للكتاب المقدس لشرح هذه المعانى الثلاثة : " نحن نرتقى درجة درجة في معرفة الله ، ولكن كل درجة هي المسيح . ففي الدرجة الأولى نعرفه كإنسان ثم كملاك وكائن سماوى . أولا كرب وكراعى ثم كملك . أولا هو الحمل الذى يرفع كل خطايانا ثم يصبح جسده طعامنا الحى . بهذه الطريقة فقط دون سواها نستطيع أن نصل الى معرفة الآب " (من تفسيره لانجيل يوحنا ١٩ : ٣٥ - ٣٩) . وفى تفسيره لسفر نشيد الأنشاد يتكلم عن الدرجات الثلاث : " فى الاولى ندرب أنفسنا فى حفظ الوصايا وفى السلوك الأخلاقى . وفى الثانية ننكر العالم وشهوته . وفى الثالثة نتطلع الى رؤية الغير المنظور الاله السرمدى هذا التطلع يجد كفايته عندما تشعل رحمة الله أنفسنا بمحبة جمال " الكلمة " اللوجوس " وعندما يستجيب الكلمة " لهذه المحبة .

طريقة التفسير المجازى :

كان استعمال المجاز شائعا بين العلماء فى عصر أوريغانوس فهو لم

يخترعه ولكنه سار في نفس الطريق الذي سلكه اليونانيون واليهود الذين طوروا هذه الطريقة التفسيرية من قبله بسنين طويلة • ولم يكن على أوريغانوس إلا أن يجلوها أكثر ليستخدمها في تنوير الكنيسة المسيحية وتعليم أعضائها • وإلى اليوم ينتشر استخدام التفسير المجازي في عظات الكنيسة الشرقية • ويستحسن أن نورد هنا تفسيراً مجازياً لأحد أمثال الرب يسوع وهو مانسميه مثل السامري الصالح (لوقا ١٠ : ٢٩ - ٣٧) كما فسرهُ أوريغانوس " الرجل الذي كان نازلاً إلى أريحا هو آدم • • • أورشليم هي الفردوس وأريحا هي العالم • الكاهن هو الناموس ، واللاوي يمثل الأنبياء • • • السامري هو ربنا • • • الدابة تمثل جسد المسيح والفندق هو الكنيسة صاحب الفندق هو رئيس الكنيسة • • • والدرهمان هما الأب والابن ، والوعد برجوع السامري هو إشارة إلى مجيء المسيح ثانية (المواعظ ٣٤ - VI : ٢٠١ ، ٢٠٢) •

رأى أوريغانوس في المسيح :

يلخص (H: E. W. Turner) رأى أوريغانوس بأنه كان يشبه ناسوت المسيح بالمركبة التي تحمل " الكلمة " (اللوجوس) " الذي جاء إلى الأرض ، وهكذا فإن المعنى الظاهري للكتاب المقدس لا يزيد عن كونه مركبة تسكن فيها حكمة الله في سر " كما كان اللاهوت محتجبا في الجسد هكذا المعنى الروحي لأقوال الله • يحتجب في الكلمات " (Turner, *The Pattern of Christian Truth*, p. 285.) •

موقف أوريغانوس من التقليد الكنسي :

ركز أوريغانوس جهده الأكبر في دراسة " الكتاب المقدس " الذي كان أساس تفكيره اللاهوتي ومع ذلك فقد كان يقدر النتاج الضخم لحكمة الكنيسة ، كما قال : " حيث أن تعاليم الكنيسة التي تسلمت في تتابع منتظم من أيام الرسل مازالت باقية في الكنائس حتى الآن ، فهي وحدها التي نؤمن بأنها صادقة بحيث لاتناقض مع التعليم الكنسي الرسولي (المبادئ • • المقدمة) •

ج - الفكر اللاهوتي لأوريجانوس

كيفية استخدام الكتابات الغير المسيحية :

كان أوريجانوس لايرفض أن يعتمد الى حد كبير على كتابات اليونانيين وبخاصة أفلاطون والرواقيين في أساليب الحوار والايضاح ، بل كان مستعدا أن يستعين بأى مصدر طالما كان يؤدي الى تأييد الحق المسيحى : فاذا حدث ووجدنا شيئا ضدنا فيما قاله الأمم (أى غير المسيحيين) فيجب أن نرفضه لأننا نرفض مؤلفه كما لاينبغى أن ننتفخ كبرياء ونحتقر كلمات الحكماء لأن عندنا شريعة جاءت من الله ، بل يجب أن نطيع قول الرسول : " امتحنوا كل شيء • تمسكوا بالحسن " (١ تسالونيكي ٥ : ٢١) (الموعظ XI : ٦) وكما سمح الكتاب للاسرائيلى أن يتزوج امرأة مسبية جميلة (تثنية ٢١ : ١٠ - ١٤) هكذا " ما نجده من أقوال مبنية على أساس عقلى سليم من أقوال الأعداء يجب أن نأخذهُ وننقيه ونزيل عنه ما يختص بهم • وأخيرا نجعله زوجة لنا " (الموعظ VII : ٦) •

عقيدته فى الله :

وبهذا نجد أوريجانوس يتقبل وصف أفلاطون بطبيعة الله بأنه لايمكن أن يكون له جسد ، فهو كروح بسيط لاينقسم ، لايتكون من أجزاء مثل الأجساد ، ولايمكن أن ينقسم مثلما ينقسم الجسد ويقول : " لايمكن أن نشبه الله بأى نوع من الأجسام أو أن نقول انه كان فى جسم بل هو طبيعة بسيطة عاقلة لايقبل أى نوع من الاضافة ولايعقل أن هناك شيئا أقل أو أكثر فى ذاته ولكنه واحد كامل أو وحدة كاملة هى مصدر لكل طبيعة عاقلة او عقل • وهو عندما يتحرك أو يفعل شيئا فانه لا يحتاج الى جسد أو مكان أو حجم ملموس أو أى صورة جسدية كالشكل أو اللون أو غير ذلك من الأمور الجسدية " (المبادئ I : ١ : ٦) •

الله خلق العالم لصالح الانسان :

يرى أوريغانوس أنه من اللازم أن يعتبر الكون المخلوق من أنه خلق من العدم - أزليا لكي يثبت قدرة الله الكلية : " لأنه لا يمكن أن يقال ان الله كلى القدرة ما لم يكن هناك من يمارس عليهم قوته " (المبادئ II ٢ : ١٠) . وكان " اللوجوس " ابن الله - وهو أيضا أزلى - واسطة الله فى الخلق . أما الكون نفسه فهو منقسم بين الوحى والزمنى فهناك الأرواح الحرة العاقلة أى الملائكة ، ثم البشر ، والشياطين وهم أحرار فى اتخاذ قراراتهم الأخلاقية إما لينحدروا الى أعماق الجحيم أو يرتفعوا الى أعلى السموات . أما الكون المادى فقد خلق ليكون مكانا لتدريب الخلائق البشرية الذين أعطيت لهم أجساد مادية مع أن لهم أرواحا كائنة من قبل ، ووضعوا تحت نظم شديدة حتى يتعلموا كيف يختارون الخير ويرفضون الشر . لقد خلق العالم لخير البشر وليعمل على خلاصهم (المبادئ I : ٧ ، ١ ، III : ٥ و ١١ و ٩ و I : ٨) .

الخلاص العام للجميع :

لقد خلق الانسان وله حرية ارادة كاملة ، ومع ذلك فان الله يجرى حكم عنايته ويكمل خطته ليعد كل انسان للرجوع الى بيت الآب (المبادئ II ، ١ : ٣) . وهذا يتضمن الاقرار بأن جميع الناس سينالون الخلاص ، ولأن أوريغانوس كان يعتقد أن الانسان " يشترك فى الطبيعة الأزلية للنور الالهى " وأنه بالطبيعة خالد مثل الآب ، لذلك سار فى منطقه حتى وصل للنتيجة الآتية : ان الكل بطريقة أو بأخرى سوف يخلصون .

رحلة النفس :

فى كتاب رحلة النفس البشرية يلاحظ القارئ التشابه مع فكر أكليمندس عن المسيحى العارف (الغنوسى) " فالنفس لا تمكث هنا فى العالم السفلى ، بل ترتفع فى الهواء ولتكتشف هناك الأسرار وعندئذ تنفتح السموات أمامها فتنتقل من منطقة الى أخرى حتى تصل الى يسوع . فى هذه الحالة تنفتح أمامها معرفة طبيعة النجوم وتحركاتها ونظمها ويصبح الفضاء السماوى مفتوحا أمامها وتؤدي بها الطريق الى أعلى الى العالم غير المنظور ، وهى تتدرج فى الروحانية وتنمو الى المعرفة الكاملة الى أن تكف عن أن تكون نفسا بل تتحول

الى " عقل " (Nous) وروح وتصبح قادرة على أن ترى وجهها لوجه طبيعة الكون وجوهره (المبادئ II ، ١٠ : ٤ ، ١١ : ٣-٧) •

عقيدة أوريغانوس في المسيح :

يصف أوريغانوس المسيح بأنه " ابن الله المولود من الآب منذ الأزل كما يتولد البهاء من النور (وهو يشير الى عبرانيين ١ : ٣) " وهو بهاء مجد الله ورسم جوهره " فالابن اذا من ذات طبيعة الآب لأنه مولود من الله غير مخلوق . . . " (المبادئ I ، ٢ : ٤-٧) " لقد انبثق من الاب دون أن ينقص من جوهره الآب بنفس الكيفية التي تتولد بها الارادة من الروح " ولكن الابن هو اقنوم متميز وبذلك يمكن القول بأنه " اله ثان " خاضع للآب (ضد سيلس ٥ ٣٩ ، ٧ : ٥٧) • ويستخدم أوريغانوس عبارة " ابن الله " في معنيين

(١) للدلالة على اللوجوس الالهى منذ الأزل •

(٢) النفس البشرية التي أصبحت الهية بالحياة الخالية من الخطية • وعلى هذا فان ابن الله الذى تألم ومات على الصليب هو الانسان الكامل وليس اللوجوس الالهى • وبواسطة هذا المسيح الانسان جاء الخلاص الى العالم بواسطة مثاله وتعاليمه أكثر مما بواسطة ذبيحته الكفارية على الصليب •

المسيح الوسيط :

ولقد عرف أوريغانوس أن المسيح جاء ليكون " فدية لأجل كثيرين " مع أنه لم يستطع أن يصل الى المفهوم الكلاسيكى للكفارة ، فالمسيح دفع الثمن للشيطان لكي يضمن تحرير الجنس البشرى (تفسير متى ١٣ : ٨ ، ٩) • وفى مكان آخر يعتقد أوريغانوس أن الله أعطى نفس المسيح للشيطان فى مقابل نفوس البشر وقبل الشيطان المقايضة غير عالم — كما كان الله يعلم — أنه عاجز عن أن يمسك المسيح بعد أن يصبح فى قبضته (McGiffert, A. C. A.) • الابن هو الوسيط بين الله والعالم وبمقدار ما نعرف الابن نستطيع أن نعرف الاب • (المبادئ I ، ٢ : ٦) •

التثليث والروح القدس :

يتضمن فكر أوريجانوس اللاهوتى عقيدة التثليث مع أنه لا يذكر كثيرا الروح القدس . وفى الحقيقة كان يميل الى النظر فى التثليث فى علاقة سلسلة : فالابن خاضع للآب ، والروح خاضع للابن . ولقد نسب أوريجانوس معظم أعمال الروح الى الابن . وكان يتكلم عن الروح " كذبيحة " فقط . ولكن نظرا لأن للروح أهمية كبرى فى الكتاب المقدس وفى ايمان الكنيسة فان أوريجانوس وضعه مع الآب والابن ، ولكنه لم يوضح وظيفته .

د - أعظم انجازات أوريجانوس

الكنيسة تصبح مركزا للعلم :

كانت مآثر أوريجانوس عديدة ، ولكن أعظم ما قام به هو رفع الفكر اللاهوتى المسيحى الى مستوى جديد رفيع . فقد بنى فكرا لاهوتيا مبنيا على المصادر الفتية للفكر الفلسفى اليونانى فجعل من الكنيسة مركزا علميا رفيعا بخدمة المسيحيين والوثنيين على حد سواء ويقول هـ . و . ترنر فى كتابه (*The Pattern of Christian Truth*, pp. 420 - 432) انه بعد أوريجانوس حدث ما يأتى :

- (١) زادت المدارس اللاهوتية فى أرجاء الامبراطورية .
- (٢) صار من الضرورى أن يكون الأساقفة مثقفين فإزاد شيئا فشيئا عدد الذين ينتخبون منهم من المدارس .
- (٣) كثيرون من المثقفين الذين يعملون فى الوظائف العلمانية (محامين ومعلمين) قبلوا الوظائف الكهنوتية .
- (٤) كان هناك اهتمام متزايد بالتعليم . وكما يقول ترنر : " كانت الثقافة الوثنية مازالت قائمة ، ولكن شعلة التعليم بدأت بالتدريج تنتقل الى أحضان الكنيسة المسيحية . " (ص ٤٣٠) .

الكنيسة الجامعة :

يكتب (*W. H. C. Frend, Martyrdom in The Early Christian Church*) . " كانت حياة أوريجانوس هى نقطة التحول فى المسيحية من مجرد شيعة الى كنيسة عامة عالمية ، فقد واصل أوريجانوس عمل أكليمندس فى

ادماج الأفلاطونية والرواقية فى الفكر المسيحى ممهدا الطريق للتوافق النهائى بين الكنيسة والامبراطورية " (ص ٢٨٨) • ولقد اشار أوريجانوس نفسه الى أهمية توحيد الامبراطورية تحت حكم أوغسطس (٣٤-١٤ ق م •) كإطار لانتشار الانجيل ••• فنظام الدويلات والحكام الكثيرين انتهى وصارت الدولة واحدة تحت حكم حاكم واحد ، وتعدد الألسنة وتبليبلها أدى الى لغة واحدة مما أدى الى وصول رسالة المسيح الى أقصى الأرض • لقد تطلع أوريجانوس الى المستقبل • الى عالم موحد فى خدمة المسيح " (٢٩٢) • كأنما كان أوريجانوس يتوقع التغييرات الثورية التى حدثت فى أيام قسطنطين للكنيسة والدولة ، بعد مائة سنة من عصر أوريجانوس •

٣ - الأسقف ديمتريوس (١٩٠ - ٢٣٢ م)

لو قصرنا كلامنا عن ديمتريوس وحياته فى إطار علاقته بأوريجانوس فحسب ، لظلمناه • فالكنيسة تذكر فضله فى رعايته للمدرسة اللاهوتية تحت مدة إدارات (بانتينوس ، أكليمنديس ، أوريجانوس ، وهيرقلاس) • ومن الواضح أنه كان يترك لكل مدير الحرية لتشكيل البرنامج العلمى للمدرسة وكان ديمتريوس أيضا أول أسقف عمل على امتداد سلطان الكنيسة الإدارى باختياره ثلاثة شيوخ لثلاث مدن مصرية وقد حذا هيرقلاس الذى خلفه حذوه فعين عشرين شيخا آخرين وكان الشيوخ فى تلك الفترة هم الرؤساء فى الأبروشيات ولكن لقب الأسقف صار - بالتدريج - هو المفضل ، ونستنتج من ذلك أن اللقبين شيخ وأسقف كانا يستعملان بالتبادل فى تلك الفترة ، ولكن بمرور الوقت بدأ تشكيل السلطان الكنسى الكهنوتى يظهر عندما أصبح أسقف الاسكندرية هو الأسقف الملكى أو صاحب السلطان الأول فى الكنيسة المصرية فأصبح هيرقلاس يسمى " بطيركا " (H. Lietzmann, *A History of The* Early Church, Vol. II, p. 64.) •

إيباكت ويرجع التقليد الكنسى القبطى الفضل فى اختراع " حساب الأبطى " (أو الفرق بين السنتين القمرية والشمسية) لتحديد تاريخ

عيد القيامة للكنائس الأرثوذكسية • فبربطه السنة اليهودية بالسنة المصرية ،
أمكنه تحديد تاريخ عيد القيامة لسنوات عديدة قادمة وبذلك صار تحديد
تاريخ عيد القيامة أمراً نهائياً (لمعرفة شيء عن حساب الأبطى ، ارجع الى
كتاب : (Iris Habib El Masry, The Story of The Copts. pp.)
• (32,43,44.

٤ - دنيسيوس الكبير أسقف الاسكندرية (توفى ٢٦٤ م)

حياة ديونيسيوس :

ان اسم ديونيسيوس يلى اسمى أكليمندس وأوريغانوس فى التقدير
والاحترام. فى القرن الثالث فى الاسكندرية وقد خلف ديونيسيوس هيرقلاس
كرئيس للمدرسة اللاهوتية • وعندما مات هيرقلاس سنة ٢٤٨ خلفه أيضا كآسقف
للاسكندرية • وكانت المدة التى خدم فيها ديونيسيوس للكنيسة من أخطر
الفترات التى مرت بالكنيسة فقد عاصر الاضطهاد فى حكم ديسيوس ثم فى زمن
فاليريان ولكنه نجا من الاستشهاد لأنه لجأ فى بادىء الأمر الى الصحراء لأنه
اعتقد - كما فعل سبريان - أنه يستطيع أن يشجع ويعزى شعبه بهذه الطريقة •
وقد حدث مرة أن قبض عليه فى مريوط غرب الاسكندرية (وكانت تسمى
تابوسيريس Taposiris) ، لكن الشعب استطاع أن يقتحم البيت الذى سجن
فيه وينقذه • أما فى الاضطهاد الذى حدث فى زمن فاليريان فقد استدعى أمام
الوالى الرومانى ، فسأله هذا الوالى : " لماذا لاتعبد الآلهة التى تحفظ
الامبراطورية ؟ " أجابه ديونيسيوس : " ليس كل الناس يعبدون كل الآلهة
ولكن كل واحد يعرف بالتأكد من هو الهه الحقيقى ولذلك فنحن نعبد ونجد
الاله الذى صنع السماء والأرض وكل شيء ، الذى أعطى حكم الامبراطورية
لأغسطس الامبراطور ، لمحبوب الله وأعطاه أيضا لغاليريوس وجالينوس ،
ولذلك فنحن نصلى بلا انقطاع لهذا الاله لأجل الامبراطورية حتى تبقى ثابتة
لاتتزعزع " فقال له الوالى : ومن الذى يمنعك من عبادة هذا الاله اذا كان هو
أيضا الها الى جانب آلهة الطبيعة ؟ لأننا أمرناك أن تعبد الآلهة التى نعرفها

كلنا ؟ " فأجابه ديونيسيوس : " نحن لا نعبد الها غيره " (يوسابيوس تاريخ الكنيسة : VII ، ١٠ : ٦ - ٩) • فعاقبه على ذلك بأن نفاه الى واحة الكفرة وهناك بدأ ديونيسيوس يبشر الليبيين • ولم ينله شيء غير هذا من هذا الاضطهاد ، فعاش حتى تسلم خطابا من الامبراطور غالينوس فيه يعلن ارجاع كل ممتلكات الكنيسة مرة أخرى وسماحه للمسيحيين بحرية العبادة •

كتابات ديونيسيوس :

كتب ديونيسيوس مجموعة من الرسائل وبعض المؤلفات اللاهوتية احتفظ لنا المؤرخ يوسابيوس بجزء منها • وكانت احدى رسائله تسمى " فى الطبيعة " يفند فيها الأبيقورية • وأخرى اسمها " فى المواعيد " يفند فيها آراء بعض الألفيين الذين كانوا يعتقدون بالمجئ الثانى الفورى • ثم كتب الى الكنيسة الأرمنية عن موضوع التوبة • ثم تعود على كتابة خطاب فى كل عيد قيامة لكى يحقق فيه تاريخ العيد وليحث الناس على أن يعيدوه بكل أمانة واخلاص • هذا الخطاب " خطاب عيد الفصح " أصبح خطابا دوريا وعادة سنوية فى كل من الكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية •

ديونيسيوس صانع السلام :

ولقد كان من ضمن مآثر ديونيسيوس أنه كان وسيط صلح وسلام بين كنيسة روما وأنطاكية عندما احتدت بينهما المناقشات اللاهوتية فى ذلك العصر • لقد كان يهتم بالدراسات اللاهوتية ولكنه كان يهتم أيضا بوحدة الكنيسة ولذلك عمل جهده - فى عصر ما قبل المجامع المسكونية - أن يشجع روح الوحدة بين كل الكنائس وكان قائدا كنسيا ناجحا فى هذا المجال • وقد لاحظ جان دانيلو أن " روح الوساطة هذه صارت عادة وتقليدا فى الكنيسة المصرية فى القرون اللاحقة " (*The Christian Centuries*, Vol. I, p. 210) •

الفكر اللاهوتى عند ديونيسيوس :

أما فى التفكير اللاهوتى فكان ديونيسيوس تلميذا مخلصا لأوريجانوس • فقد اتخذ موقفا قويا ضد " الملكيين " (Monarchians) ولذلك اتهموا بهرطقة خضوع الابن " • ويؤخذ من رسائله الى ديونيسيوس أسقف كنيسة

روما ، أنه كان هناك خطأ فى فهم الكلمة " أقنوم " (Hypostases) أن ديونيسيوس الرومانى كان يعنى بها مادة أو طبيعة • أما ديونيسيوس الاسكندرى فكان يستخدمها بمعنى شخص ويلوح أن هذا الأخير غير فى موقفه ليكون أقرب الى روما • وحاول أن يبرهن تساوى الأقانيم (Hypostases) الآب والابن والروح القدس مبرهنا بذلك على أن الابن أزلى غير مخلوق • مع ذلك فقد استخدم أسبيون أقوال ديونيسيوس الاسكندرى فى المجادلات اللاهوتية القاسية التى ثارت فى القرن الرابع ضد أثناسيوس الذى كان يشك فى أرثوذكسية ديونيسيوس الاسكندرى •

روما والاسكندرية :

ظهرت الصلة الممتازة بين كنيستى روما والاسكندرية فى هذه الأفكار اللاهوتية المتبادلة فقد كتب الذين لم يوافقوا على آراء ديونيسيوس الاسكندرى من المصريين الى ديونيسيوس فى روما ، فرد عليهم أسقف روما بكيفية تجعلهم يفهمون أنه هو الشخص الذى يمكنه أن يحكم فى الأمر ولم يعترض ديونيسيوس الاسكندرى على ذلك ، بل كتب الى ديونيسيوس روما كأنه مسئول أمامه • وهذه شهادة واضحة على أن روما ، كانت لها مكانة أسمى بالنسبة للاسكندرية فى رأى ديونيسيوس على الأقل ! •

ديونيسيوس الراعى :

ويذكر التاريخ لديونيسيوس مآثره الرعوية خصوصا عندما كانت الكنيسة تزرع تحت نير الاضطهاد • فقد كان نادر المثال فى تواضعه وعطفه واستطاع أن ينشر هذه الفضائل بين رعيته ووصف الفرق بين سلوك المسيحيين وسلوك الوثنيين فى أثناء انتشار وباء الطاعون المروع فى الاسكندرية (٢٦٠ م) فبينما لم يألوا المسيحيون جهدا فى تخفيف ويلات الناس معرضين أنفسهم للخطر فى أثناء اعتنائهم بالمرضى ، كان الوثنيون يلقون بعيدا عنهم أى شخص تظهر عليه أعراض المرض وكانوا يهربون من أعز الأشخاص وأقربهم اليهم بل كانوا يلقون بهم فى الشوارع وهم يحتقرون أو يلقون بجثثهم بدون دفن (يوسابيوس VII ، ٢٢ : ١٠) • لقد خدم ديونيسيوس الاسكندرى الكنيسة خدمة جليلة ، فقد كان قائدا يتحلى بأسمى مواهب العقل والروح •

Recommended English Readings

1. Al Masry, Iris Habib. *The Story of the Copts*, pp. 49 - 53, 56-59.
2. Atiya, A. S. *A History of Eastern Christianity*, pp. 34 -38.
3. Boer, H. R. *A Short History of The Early Church*, pp. 92 - 94.
4. Carrington, Philip. *The Early Christian Church*, Vol. II, pp. 440 - 441 , 451 - 453 , 460 - 465.
5. Danielou, J. and Marrou, H. *The Christian Centuries*, Vol. 1, *The First Six Hundred Years*, pp. 208 - 210.
6. Frend, W. H. C. *The Early Church*, pp 97 - 105.
7. Latourette, K. S. *A History of Christianity*, pp. 148 - 151.
8. Lietzmann, Hans. *A History of The Early Church*, Vol. II, pp. 295 - 317. , Vol. III, pp. 94 - 99.
9. McGiffert, A. C. *A History of Christian Thought*, Vol. I, pp 208 - 231.
10. Walker, Williston. *A History of The Christian Church*, pp. 74 -77

و - اضطهاد ديسيوس وفاليزيان للمسيحيين

الاضطهاد الشامل للمسيحيين :

كان المسيحيون يعيشون فى سلام بعد المذابح التى زاح ضحيتها الكثيرون منهم فى عهد سبتيموس سيفيروس ٢٠٢ م وكاراكال ٢١٣ م ، فيما عدا بعض الحوادث المتفرقة . ولكن فى منتصف ذلك القرن بدأ الشعور العام بالعداء نحوهم فقد استمر العامة يعتبرونهم جماعة ملحدة تثير غضب الالهة فتصيبهم بالكوارث الطبيعية . وقد بدأ ذلك سنة ٢٤٨ م بحوادث متفرقة فى الاسكندرية حيث كانوا يجرون المسيحيين الى المعابد ويجبرونهم على تقديم الذبائح للاوثان ثم سارت الغوغاء فى الشوارع تحطم كل ممتلكات المسيحيين فى غضب وعنف حتى أن امرأة عجوز رفضت أن تنطق بالعقيدة الوثنية ، اضطرت من شدة الضرب الى أن تلقى بنفسها فى النيران .

أسباب اضطهاد ديسيوس للمسيحيين :

كان ذلك العصر يتميز بعدم الاستقرار فى الامبراطورية . وقد حدا ذلك بالامبراطور ديسيوس الذى اختاره جنوده ليخلف الامبراطور فيلبس سنة ٢٤٩ م ، أن يعزم على اتخاذ بعض الاجراءات الحاسمة لمواجهة ذلك . ويقول يوسابيوس بسبب عداوته للامبراطور فيلبس (الذى يعتقد يوسابيوس أنه كان مسيحيا) أثار ديسيوس الاضطهاد ضد الكنائس (التاريخ الكنسى VI - ٣٩ : ١) . وكان المسيحيون يزدادون فى العدد والنقوذ حتى خشى البعض أن يقوموا بالثورة ضد الامبراطورية . ويذكر البعض أن ديسيوس قد قال انه يفضل أن يسمع أن هناك منافسا له على العرش من أن يسمع أن أسقفا جديدا قد قام فى روما ، وفى الواقع كانت هناك بعض المشاكل فى الكنيسة مما أثار اهتمام السلطات مثل التنافس بين بعض الأساقفة على السلطان والمراكز الهامة ، وكان ديسيوس نفسه يحاول بكل جهده أن يعيد الوحدة والنظام الى الامبراطورية لترجع لروما سمعتها . ولكى يفعل ذلك اتجه الى الديانة كما فعل الأباطرة من قبل .

بدء اضطهاد ديسيوس :

أصدر ديسيوس مرسوما ملكيا بأنه على كل السكان الأحرار (غير العبيد) من رجال ونساء وأطفال أن يقدموا الذبائح لآلهة الامبراطورية وأن يسكبوا لها السكائب ويأكلوا من الذبائح وعندما يقدم شخص ذبيحة كان يعطى شهادة بذلك . ويصف ديونيسيوس أسقف الاسكندرية تأثير ذلك على المسيحيين فيقول : " الجميع ارتعدوا من الخوف ، وجاء بعض الأشخاص من ذوى المكانة بسرعة ليقدموا الذبائح . وكذلك بعض الذين كانوا فى وظائف عامة اضطروا لفعل ذلك بحكم عملهم وآخرون جرهم جيرانهم وأجبروهم على ذلك أيضا . وعندما كان ينادى على أسمائهم كانوا يتقدمون الى الذبائح النجسة فى شحوب وارتعاد كأنهم يتقدمون للذبيحة بل ليكونوا هم أنفسهم الذبائح ولذلك كان الجمع الواقف حولهم يسخر منهم ، وهذا يدل على أنهم كانوا جبنا طبيعيا فى كل شئ : جبنا أمام الموت وأمام تقديم الذبيحة وخيانة سيدهم ، ولكن كانت هناك جماعة انطلقوا الى الذبيحة بكل جرأة وسرور كأنهم لم يعرفوا المسيحية من قبل . . . أما الباقيون فبعضهم هرب والبعض قبض عليه . . . ومنهم من كانوا ينكرون الايمان بقسم حتى قبل أن يمثلوا للمحاكمة ، أما الذين ثبتوا بعض الوقت ، فقد اضطروا الى التسليم تحت وطأة التعذيب الشديد " (اقتباس يوسابيوس VI ٤٠ : ١٠ - ١٢) .

مسيحي يستسلم :

يقتبس سيبريان كلمات أحد المسيحيين الذى استسلم تحت وطأة العذاب : " عقلى ثبت . . . وكان ايمانى قويا ، وقاومت نفسى طويلا دون انهيار تحت وطأة الألم الفظيع . ولكن عندما خارت قواى وتحطمت اذ كان السوط يقطع لحمى والعصى تكسر عظامى ، والمخلعة (أداة تعذيب قديمة يمدد عليها الجسد) تمزق جسمى والكلايات الحديدية تغوص فى جسدى ، والنيران تشوينى ، وعندئذ انهار جسدى فى الصراع ولم يستطع الصمود " .

شهادات الذبائح :

وقد تمكن بعض الناس من الحصول على شهادات تدل على تقديمهم للذبيحة دون أن يكونوا قد قدموا أى ذبيحة ، وذلك برشوة بعض الكهنة

المرتشين • وهذا نص احدى الشهادات التى وجدت فى الفيوم :
" الى الجماعة التى عينت للاشراف على الذبائح فى قرية جزيرة الاسكندر •
من أوريليوس ديوجينوس بن ساتابس من جزيرة الاسكندر - العمر ٧٢ سنة ،
تميزه ندبة فوق حاجب العين اليمنى اننى دائما أقدم الذبائح الى الالهة ،
والآن فى حضوركم وطاعة للأمر الملكى قد قدمت الذبائح وسكنت السكائب
واشتركت فى الطعام • ألتمس منكم أن توقعوا بذلك على هذه الشهادة
والسلام • أنا أوريليوس ديوجينوس أقدم هذا الالتماس • أنا أوريليوس
سيروس : رأيتك وابنك تقدمان الذبائح " •

قادة الكنيسة يستشهدون :

لقد أحس قادة الكنيسة بوطأة اضطهاد ديسيوس • ومن بين الذين
استشهدوا كان البابا فابيان أسقف روما والأسقف ألكسندر أسقف أورشليم ،
وبابيلاس أسقف أنطاكية • أما أوريجانوس فقد سجن فى قيصرية ومات من
المعاملة السيئة • أما الأسقفان ديونيسيوس فى الاسكندرية وسيبريان فى
قرطاجنة فقد اختبأ ولكن آخرين استسلموا • ويروى سيبريان أن كنائس محلية
بأكملها قدمت الذبائح بل أن أسقف احدى الكنائس تقدم جماعته فى ذلك •
وبلغ الأمر بالأسقف يوكتمون (Euctemon) أسقف سميرنا أنه " أقسم بمجد
الامبراطور وبالألهة نيميسيس (Nemesis آلهة الانتقام) أنه لم يكن
مسيحيا " •

فاليريان يعطف على المسيحيين :

بعد أن قتل ديسيوس فى معركة ٢٥١م خلفه جاليوس (Gallus) الذى
واصل الاضطهاد ، ولكنه قتل أيضا سنة ٢٥٣م وخلفه فاليريان • وكان يلوح
على فاليريان هذا أنه لا يشارك سابقيه فى قسوتهما على المسيحيين بل كان
يعطف عليهم وبذلك كف عن الاضطهاد • وقد كتب عنه دينسيوس الاسكندري
قائلا :

" كان فاليريان متسامحا وودودا لشعب الله • ولم يسبقه أحد من الأباطرة فى
مثل شففته وموقفه الصادق تجاههم حتى أولئك الذين قيل عنهم انهم كانوا
مسيحيين • • • وكان يقابلهم فى بدء حكمه بكل ترحاب ومودة ، وكل بيته كان
يمتلئ بالشخصيات التقية بل كان كنيسة الله " (اقتبسها يوسابيوس

لماذا بدأ فاليريان الاضطهاد :

ولكن المشاكل بدأت تواجه فاليريان — مثله في ذلك مثل ديسيوس — فقد بلغت الحالة الاقتصادية غاية السوء ووصل التضخم الى حد مزعج ، أصبحت حدود الامبراطورية مهددة ، ففي الشمال كان البرابرة يخططون بها وفي الشرق كان يتهددها الفرس . واستمر المسيحيون في ازدياد ونجاح حتى قيل ان كنيسة روما كان لها أسقف واحد ، ٦٤ شيخا ، ٧ شمامسة ، ٧ في رتبة مساعد شماس ثم ٤٢ مساعد كاهن (قندلفت) ، ٥٢ من مخرجي الشياطين ثم قراء وبوابون ، وكانت قائمة الأراامل واليتامى الذين تساعدهم الكنيسة حوالي ١٥٠٠ . وفي سجلات الدولة ظهر أن احدى الكنائس المحلية تمتلك طبقا من الذهب وآخر من الفضة وأدوات زينة وملابس وأطعمة ثياب وكتب وأموال . ويقول البعض انه كان وزير المالية المدعو ماكريانوس (Macrianus) كان يكره المسيحيين ويسعى جاهدا لاهياء العبادة الوثنية فقد أوغر صدر الامبراطور ضدهم .

مرسوم فاليريان الأول :

ومهما كانت الدوافع فان فاليريان أصدر مرسوما ٢٥٧م ضد رجال الدين المسيحيين يمنع فيه العبادة المسيحية ويأمر بتقديم الذبائح للالهة ودعى الأساقفة ليمثلوا أمام المحاكم الامبراطورية صاغرين . وكان رد سيبريان ردا مثاليا اذ قال : " لا يستطيع المسيحيون أن يعبدوا آلهة أخرى من آلهتهم . ولكنه يصلى مع كل شعبه الى الهه المسيحيين كلى القدرة من أجل الامبراطور . ولكن الرومانيين لم يقبلوا ذلك ، فحكموا على سيبريان وآخرين بالنفى .

المرسوم الثانى والاضطهاد القاسى :

لما ظهر المرسوم الأول لم يكن له مفعول شديد ، أصدر فاليريان مرسوما ثانيا ٢٥٨م أشد ضراوة وقسوة . ففيه يأمر بأن كل رجل دين مسيحي لا يذعن لأمر الامبراطور يجب أن يقتل ، ويجرد رجال مجلس الشيوخ والفرسان من رتبهم ، وتنفى السيدات الشريفات وتصادر أملاكهن . ويرسل عمال القصور الملكية الى معسكرات العمل الشاق . ولكن بدلا من أن يذعن المسيحيون للأمر تحت هذا التهديد ثبتوا ، فمات كثيرون منهم وكان سيبريان واحدا منهم . بعضهم قطعت رؤوسهم ، وبعضهم أحرق ، حتى ان ٣٠٠ منهم ألقى بهم الى

قماثن الجير المشتعلة وهذا ظهرت الرغبة العارمة في الاستشهاد ويذكر
يوسابيوس أن ثلاثة من المسيحيين سافروا في رحلة طويلة لكي يعترفوا
بمسيحياتهم لحاكم مقاطعتهم حتى يمكنهم أن يستشهدوا " (التاريخ
الكنسى VII : ١٢) •

جالينوس يوقف الاضطهاد :

من رحمة الله بالمسيحيين أن هذا الاضطهاد توقف عندما خلع
الامبراطور عن العرش ، وقد أسر فاليريان ثم قتل في حملته ضد الفرس
٢٦٠م ، فخلفه في الحكم جالينوس الذي رأى أنه من الحكمة أن يصادق
المسيحيين بدلا من أن يضطهدهم • ولهذا أصدر أوامر مكتوبة يؤمن فيها
العبادة في الكنائس ويعيد لهم مدافنهم ، ثم كتب خطابا الى الأسقف
ديونيسيوس الاسكندري الذي أصبح بعد موت سيبريان أعظم قائد في الكنيسة
كلها •

خطاب جالينوس الى أساقفة الاسكندرية :

" من الامبراطور قيصر بولبيوس ليسيينوس جالينوس بيوس فيلكس
أوغسطس الى د يونيسيوس وبنياس وديمترىوس وبقية الأساقفة : لقد أصدرت
أوامري أن يعم احسانى كل العالم بقصد أن يتركوا أماكن عبادتكم فيمكنكم أن
تنتفعوا أنتم بأوامري فلا يسىء اليكم أحد ، وهذا الأمر المكتوب وفي مقدوركم
أن تحققوه ، فقد منحته لكم منذ مدة ، وسوف يتولى أورليوس كيرينيوس أمين
الخزانة تنفيذ أوامري " (يوسابيوس VII : ١ : ٣) •

الامبراطور يعترف بالديانة المسيحية :

هذا القرار الذى صدر عن الامبراطور كان نقطة تحول كبيرة في موقف
الباطرة من المسيحيين ، كانت ومازالت أمامهم خطوة أخرى وهى الاعتراف
الرسمى بالمسيحية ومع ذلك فقد تمتعوا ببعض التسامح وكان عمل جالينوس هذا
اعترافا ضمريا بأن القسر والاضطهاد قد فشلا ، وأنه يجب أن يوضع المسيحيون
في الاعتبار كعامل سياسى في الامبراطورية ، وتمشيا مع الاعتقاد الذى ساد في
ذلك العصر ، يبدو أن جالينوس بدأ يفكر أيضا في أن اله المسيحيين اله قوى

يمكن الاستعانة به لخير الامبراطورية فآن للكنيسة أن تستمتع بفترة من الراحة والسلام أكثر من أربعين سنة الى أن جاء دقلديانوس وقام بمحاولته الأخيرة اليائسة للقضاء على المسيحية ♦

Recommended English Reading

1. Bruce, F. F. *The Spreading Flame*, pp. 182-184.
2. Danielou and Marrou. *The Christian Centuries*, Vol. I, *The First Six Hundred Years*, pp. 205-208.
3. Foster, John. *Church History I, The First Advance*, pp. 74-76
4. Frend, W. H. C. *The Early Church*, pp. 107-117. *Martyrdom and Persecution in The Early Church*, pp. 285-323.
5. Latourette, K. S. *A History of Christianity*, pp. 87-89.

ز - سيبريان (٢٠٥ - ٢٥٨ م) Cyprian

كان سيبريان هو القائد العظيم فى الكنيسة فى شمال أفريقية بعد ترتليان . وكان رجلا حكيما ثاقب النظر ، تعلمت منه الكنيسة كيف تعالج ظروفها فى المستقبل . فقد كانت الكنيسة فى أيامه تناضل للوصول الى اجابة للقضايا الأساسية المتعلقة بالسلطة . وليس ذلك فقط بل كان الاضطهاد قد أوشك أن يتجدد مرة أخرى ولكن قيادة سيبريان للكنيسة كانت مشجعة للمسيحيين المعرضين للاضطهاد فى تلك الفترة .

حياة سيبريان الأولى :

لانعرف الا القليل عن حياة سيبريان الأولى فقد ولد فى قرطاجنة فى أسرة مشهورة غنى مسيحية وتعلم التعليم " الكلاسيكى " الذى يليق بتلك الأسرة ، أما اغتناقه للمسيحية (٢٤٦ م) فقد وصفه فى خطاب له لأحد أصدقائه . فقد سئم حياة الترف ، فساد العدالة وقساوة الحياة فى قرطاجنة بسبب الاباحية ، وتطلع الى حياة أخرى ، فوجدها فى يسوع المسيح . وعندما تعمد ، أحس بأنه قد تطهر من الحياة القديمة ، وبقوة الروح القدس عاش حياة طاهرة بلا خطية (الى دوناتوس ٤) .

انتخاب سيبريان أسقفا :

ظهرت قيادته الحكيمة للكنيسة فانتخبوه أسقفا لقرطاجنة (٢٤٩/٢٤٨) . " انتخب باختيار الناس واردة الله " ومع ذلك فلم يكن كل الناس مسرورين بانتخابه . فقد عارضه شخص اسمه نوفاتوس (Novatus) ، الذى سبب له متاعب كثيرة عندما ثارت قضية قبول الأشخاص الذين أنكروا الايمان أيام اضطهاد ديسيوس ولكنهم أرادوا التوبة والرجوع مرة أخرى .

سيبريان تحت الاضطهاد :

وقف سيبريان فى بادىء الأمر موقفا متوازيا حالما بدأ الاضطهاد الذى أثاره الامبراطور ديسيوس فعمل على تخفيف حدة جنون الاستشهاد ، ولكنه فى ذات الوقت حزن لكثرة عدد المسيحيين الذين أسرعوا لتقديم الذبائح للامبراطور ، ليأخذوا الشهادات التى تعفيهم من الاضطهاد . أما هو نفسه فقد التجأ الى مكان خارج قرطاجنة ولكنه ظل فى صلة بالكنيسة عن طريق الرسائل والزائرين . وعندما وجهوا اليه النقد لتركه قرطاجنة ، دافع عن نفسه بالقول بأن وجوده فى قرطاجنة لابد أن يثير السلطات ويؤدى الى زيادة حدة الاضطهاد ، أما فى مخبأه الآمين فقد كان قادرا على تقديم النصح والتشجيع والتعزية لشعبه بكيفية أقوى وأفعل .

لاخلاص خارج الكنيسة :

أما ماشتهر به سيبريان فهو نظرتة العالمية الى الأسقفية ★ والكنيسة . فهو الذى قال : " لاتوجد الا كنيسة واحدة فالأسقفية التى أسسها المسيح على الصخرة هى فى الكنيسة ، والكنيسة هى الأسقف ، ومن يعارض الأسقف فهو ليس من الكنيسة " (الرسائل ٥١ - ٥٥ ، ٢٤) . وذهب الى أبعد من ذلك ، فأعلن أن الذى ليس من الكنيسة لايمكن أن يكون مسيحيا ، وأنه لاخلاص خارج الكنيسة التى يصفى عليها الشريعة وجود الاسقف ، " ولايمكن لأى انسان أن يدعى أن الله أبوه ، مالم تكن الكنيسة أمه " (وحدة الكنيسة ص ٦) .

السلطان الأسقفى :

نلاحظ أيضا أن سيبريان يشير الى الفقرات الكتابية التقليدية التى تؤيد ذلك مثل (أعمال ١٩ ، ٢٠ ، ١ كورنثوس ١٢ ، أفسس ٤ ، ١ بطرس ٥) . ولكنه يفتش فى كل الكتاب لكى يبين أن الكتاب المقدس كله يؤيد السلطان الأسقفى ، فمثلا (تثنية ١٧ : ٢٠) " الرجل الذى يعمل بطغيان

★ فى ذلك الوقت كان النظام الأسقفى هو النظام السائد فى الكنائس شرقا وغربا . أما رتبة المسيحية فقد احتفظ بها كهنة الكنيسة المحلية أما الأسقف فكان يشغل مكان القيادة .

فلا يسمع للكاهن الواقف هناك ليقدم الرب الهك ... يقتل ذلك الرجل " ثم (١ صموئيل ٨)

ودور صموئيل النبي في اختيار الملك • ثم (متى ٨ : ٤) بعد أن يشفى يسوع الأبرص يأمر بأن يذهب الى الكاهن أولا ، (أعمال ٢٣ : ٣ - ٥) • هناك يعترف بولس الرسول أمام حنانيا بأن من يتكلم ضد رئيس الكهنة فهو يخطئ الى الناموس • وهكذا " من الواضح أن سيبريان يفسر الكتاب المقدس كله تفسيراً مسيحياً من البداية الى النهاية • ويعتبره أمراً مسلماً عنده أن الخدمة المسيحية هي الوريث الطبيعي للسلطان الالهى الموجود فى العهد القديم وبخاصة فى الكهنوت الاسرائيلى " • (Turner, H. E. W. *The Pattern of Christian Truth*, p. 277.

الأسرار التى يمارسها الهرطقة :

ولقد صب سيبريان جام غضبه على الأسرار التى يمارسها الهرطقة • ولقد بدأت هذه الأئمة عندما عمد بعض الكهنة المتهمين بالهرطقة فى أسبانيا بعض الذين اعتنقوا المسيحية فهل يمكن أن تكون هذه المعمودية معمودية صحيحة ؟ أم يجب أن يعاد عماد هؤلاء قبل أن تقبلهم الكنيسة ؟ فى هذه الحالة أصر سيبريان على إعادة عماد هؤلاء لأن الكهنة الهرطقة كانوا - فى اعتباره - فى حالة النجاسة • ولكى يؤيد رأيه ، استند على ما جاء فى (خروج ١٩ : ٢٢ ، ٢٨ : ٤٣ ، لاويين ٢١ : ١٧) • بل ان الجماعات التى تسمح للكاهن الهرطوقى أن يستمر فى الخدمة هى جماعات منجسة أيضا : ولا يجب أن يخدع الشعب نفسه ويظن أنه ليس شريكا فى الخطية عندما يشتركون مع الكاهن الخاطئ " • وكان الواجب عليهم " ألا يخالطوا هذا الكاهن الشرير ولا يشتركوا فى ذبيحته " (خطاب ٦٧ : ٤) فقد كان يعتقد مثلما اعتقد ترتليان بأن الأسرار الكنسية ، التى هى واسطة حضور الروح القدس ، لا يمكن أن يمارسها شخص تركه الروح القدس •

الأسقف اسطفانوس يختلف مع سيبريان :

لكن سيبريان فى وقفته هذه وجد نفسه فى اختلاف مع الأسقف اسطفانوس (روما) • فقد كان سيبريان يعتقد أن الأسرار التى يمارسها المونتانيون أو الماركونيون يجب أن ترفضها الكنيسة ، لكن اسطفانوس عارض

هذا الرأي قائلًا ان قداسة الأسرار لا تتوقف على أرثوذكسية الكاهن أو أخلاقه ،
لأن فاعلية السر تكمن في نفسه ، وليس في الشخص الذي يقوم به • فالمعمودية
إذا مارسها هرطوقي لا يمكن أن يبطل مفعولها • ولقد نجح اسطفانوس في
ذلك ، وصار رأيه معمولًا به في كل الكنيسة †

سيبريان ينكر رئاسة أسقف روما على الجميع :

اختلف سيبريان واسطفانوس أيضا على الأولوية التي ادعاهما أسقف روما
على بقية الأساقفة فقد صارت روما—على مر السنوات ذكرناها سابقا — مركزا
للكنيسة وبخاصة الجناح الغربى منها • ولذلك حاول بعض الأساقفة روما أن
يرفضوا سلطانهم على بقية الأساقفة ، ولكن سيبريان عارض ذلك الاتجاه بشدة
حالما لاحظ في موقف اسطفانوس • فالكنيسة كما يراها هي وحدة ، وهذه
الوحدة تتضح في التعاون التام بين الأساقفة ، وكما أن هناك كنيسة واحدة
لكنها ممثلة في عدة جماعات محلية ، هكذا لا يوجد الا سلطة واحدة موزعة بين
عدة أساقفة • فكل أسقف يحاول أن يفصل نفسه من الدائرة الأسقفية هذه فانه
إنما يفصل نفسه عن الكنيسة (وحدة الكنيسة ه) • هذه الوحدة كان يراها
سيبريان حقيقة سرية (Mystical) وأساسها أن الأساقفة كانوا خلفاء الرسل

† لقد اتفق أساقفة الاسكندرية مع اسطفانوس في أنه لا توجد الا معمودية
واحدة ، وأنها صحيحة مهما كان الشخص الذي يقوم بها • وهناك قصة في
السنكسار القبطى تلقى ضوءا على ذلك (جزء V ص ١٦١ وهى مأخوذة من

Iris Habib Al Masry, *The Story of the Copts* pp. 77,78 T

القصة ان امرأة مسيحية من أنطاكية هربت مع ابنيها الى الاسكندرية بعد أن
ارتد زوجها • وفى أثناء رحلتها هبت زوبعة فى البحر • فلما خافت أن تغرق
السفينة عمدت ابنيها بدمها • ولكن السفينة نجت من الزوبعة ووصلت سالمة
الى الاسكندرية • وعندئذ أخذت الأم طفليها لكى يعمدهما الأسقف بطرس •
ولكن عندما أراد الأسقف أن يضع الولدين فى الماء تحول الماء حالا الى
حجر • وتكرر ذلك ثلاث مرات • وعندئذ سأل الأسقف المرأة عن السر وعرف
أنها عمدت ابنيها من قبل • وحالما سمع الأسقف ذلك مجد الله وقال : " هذا
ما أمرت به الكنيسة بأنه لا توجد الا معمودية واحدة " •

الذين كان لجميعهم نفس الرتبة ونفس السلطان • نعم لاننكر أن المسيح أفرز بطرس وقال عنه انه حجر الكنيسة • ولكن مع ذلك لم يمنح بطرس أفضلية عن الباقين ، فكل الرسل ظلوا فى مرتبة واحدة فى نظر سيدهم (وحدة الكنيسة) • قد يوبخ أسقف أسقفا آخر كأخ ولكن ذلك لايعطيه الحق بأن يسيطر عليه ، ولكن على الأسقف أن لا يحكم على أخيه الأسقف كما يجب ألا يحكم عليه من أسقف آخر ولكى يتم ذلك فلايمكن أن يكون هناك ما يسمى أسقف الأساقفة ولا أولوية لروما فى ذلك ، ويرينا التاريخ أن سيبريان لم يستطع أن ينجح فى مفهومه هذا لا فى الشرق ولا فى الغرب •

الكنيسة والأخلاق :

ظهرت فى الكنيسة فى ذلك العصر مشكلة أخرى تتعلق بالمسيحيين المعمدين ولكنهم يسقطون مرة أخرى فى عبادة الأصنام أو القتل أو الزنى أو غير ذلك • فهل يمكن للكنيسة أن تقبلهم مرة أخرى على العشاء الربانى • كانت الكنيسة قبل ذلك تتبنى رأى ترتليان الذى يقول ان هؤلاء الذين يرتكبون هذه الخطايا " التى للموت " لايمكن أن تقبلهم الكنيسة مرة أخرى • وقد نسب ترتليان التسبب الى الأسقف كالستوس (Callistus) أسقف روما لأنه سمح بقبول جماعة اتهموا بالاباحية الجنسية مرة أخرى بالكنيسة •

قبول جماعة اتهموا بالارتداد :

واجهت الكنيسة موقفا حادا بعد أن توقف اضطهاد ديسيوس لها : فماذا تفعل بأولئك الذين ارتدوا ؟ هل يمكن قبولهم فى الكنيسة مرة أخرى ؟ كانت المشكلة معقدة نظرا لتعدد المواقف فالبعض منهم استسلموا بعد عذاب مر ، وبعضهم أسرعوا عند أول تهديد وقدموا ذبيحة حتى يأخذوا الشهادات المطلوبة ، والبعض اشتروا شهادات دون أن يقدموا ذبيحة وذلك عن طريق رشوة الكهنة الوثنيين • وبعضهم سامحهم آباء الاعتراف (Confessors) المسيحيون الذين اعترفوا لهم بذنبهم • وآباء الاعتراف (Confessors) هم الذين نجوا من العذاب الشديد وأصبح لهم المركز السامى • أمام هذه الحالات المختلفة أدرك سيبريان أنه لايمكن أن يطبق عليها جميعا قانونا

واحدا . والى جانب ذلك فلم يكن مستريحا لآباء الاعتراف (Confessors) هؤلاء الذين حلوا محل الكهنة واتخذوا من هذا العمل تجارة ومنحوا الغفران " لكثيرين بلا تمييز .

سيبريان يهزم نوفاتيان :

أراد سيبريان أن يحتفظ بحق الغفران على أيدي الكهنة فقط ، ورأى أيضا أن بعض المرتدين يمكن قبولهم بعد فحصهم بالتدقيق وتوقيع العقاب الشديد عليهم . ولكنه رفض أن يقبل الكهنة الذين ارتدوا الى وظائفهم الأصلية فى الكنيسة . وفى هذا كان على وفاق مع رأى دانيوس الكورنثى وأكليمنس وأوريغانوس فى الاسكندرية وكذلك مع كاستوس وهرماس . ولكنه كان على خلاف حاد مع نوفاتيان الذى كان من روما وكان فى منافسة شديدة مع كورنيليوس على كرسى الأسقفية وأخيرا انتصر كورنيليوس وسيبريان . فما كان من نوفاتيان الا أنه انسحب ليكون كنيسة أخرى ، ولكنه — مع كنيسته — حكم عليهم بأنهم منشقون .

هل الكنيسة للجميع أم لقلّة من الناس ؟

كانت مشكلة النوفاتيين مهمة لمستقبل الكنيسة . كان هدف نوفاتيان يتفق مع هدف هيبوليتس وترتليان فى تطهير الكنيسة وطرد الجميع منها والابقاء فقط على أنقى وأفضل الناس لتكون كنيسة الأنبياء والقديسين والمعترفين والابكار . فى مقابل ذلك كان من رأى سيبريان وكورنيليوس وكثيرين آخرين أن الكنيسة يجب أن تكون لكل من يعترف بالمسيح مخلصا ويتعهد بأن يخدمه . نعم هناك مستويات روحية مختلفة . فهناك من أعطوا أنفسهم للمسيح بالحياة فى الدير ، وبتضحية النفس حتى الاستشهاد ، وهناك أيضا مكان لعامة الشعب الذين ليسوا أبطالاً روحيين ولكنهم يحبون الرب ويخدمونه بطريقتهم الهادئة . وهنا يجب على الكنيسة وأتباعها أن ترفع الشكر لله لأن سيبريان قد انتصر فى النهاية ، فقد ماتت النوفاتية وأتباعها الذين أرادوا أن تصبح الكنيسة " كنيسة الأَطْهَار " فقط (كما يسميهم يوسابيوس) كما ماتت المونتانية والماركيونية .

استشهاد سيبريان :

جاءت ساعة سيبريان الأخيرة حينما شبت نيران اضطهاد فاليريان .
ففى سنة ٢٥٨ م استدعاه حاكم قرطاجنة ليمثل أمامه . ولم يضعف فى أثناء
استجوابه ، وعندما سمع حكم الموت قال " شكرا لله " أما شعبه الذى اجتمع
خارج الباب فقد صاح : " نريد أن نموت معه " وذهب سيبريان الى مكان
الموت محاطا بشعبه ثم خلع رداءه الخارجى وطلب أن يعطى لجلاديه خمس
وعشرون قطعة من الذهب . وعندما قطعت رأسه تجمع شعبه حوله ومعهم ثياب
ليجمعوا دمه ليحتفظوا بها كمخلفات ثمينة .

Recommended English Readings

- 1 Boer, Harry R. *A Short History of The Early Church*, pp. 87-89.
- 2 Danielou, J. and Marrow, H. *The Christian Centuries*, Vol. I. *The First Six Hundred Years*, pp. 192-202.
- 3 Frend, W. H. C. *The Early Church*, pp. 111-117 and *Martyrdom and Persecution in The Early Church*, pp. 285-323.
- 4 Lietzmann, Hans. *A History of The Early Church*, Vol. II. pp. 225-238 & 251-257.

النصف الثاني

من

القرن الثالث

وإبتداء عصر قسطنطين

(أ) أحوال الامبراطورية

متاعب اقتصادية فى الامبراطورية :

مرت الكنيسة بفترة سلام نسبى قبل أن تحل بها الكارثة الأخيرة بالاضطهاد الذى أثاره دقلديانوس . أما الامبراطورية نفسها فكانت تجوز فى فترة حرجة واضمحلال ، فكانت الحالة الاقتصادية على أسوأ ما يكون وقد استعصى التضخم على كل علاج ، حتى انه فى مصر زاد ثمن الأتان عشرين ضعفا فيما بين سنتى ٢٧٦م ، ٢٨٢م . ثم تضاعف ثمن أردب القمح من ١٦ دراخمة فى سنة ٢٦٤ الى ١٢٠ دراخمة سنة ٢٧٧ ثم الى ١١١ ونصف دراخمة سنة ٣٠١ ، مما دفع الناس الى القيام بمظاهرات الاحتجاج . وكانت الضرائب قاسية جدا فى أرسناو (الفيوم) اشتكى الفلاحون الى الحاكم لأنهم لا يستطيعون دفع الضرائب ، وفى بعض الأحيان كان الناس يهربون من بيوتهم للاختباء فى الاديرة أو فى الصحراء حتى يتجنبوا جامع الضرائب ، وصار كل العاملين فى الحكومة مكروهين من الناس لدرجة أن الناس أحجمت بشدة عن شغل الوظائف الحكومية .

الانهيار الأخلاقى :

لقد ظهر الانهيار على كل المستويات ، فى حياة الناس . وقد كتب أحد القضاة واسمه ديمتريانس من قرطاجنة الى سيبريان يقول : " لقد نصبت المناجم ، ولا يوجد شئ فى الحقول ، واختفت المراكب من البحار ، ولجنود فى المعسكرات ، وزالت الأمانة من الأسواق والعدالة من المحاكم ، والثقة بين الأصدقاء ، والمهارة فى الفن والانضباط فى الأخلاق . وما كان يقال على قرطاجنة كان يقال عن كل حوض البحر الأبيض المتوسط .

انهيار الديانة :

ومع أنه بقى بعض الاهتمام بالديانات الشرقية الا أننا نشعر أنه حتى الديانة التقليدية فى مصر أخذت تفقد أهميتها وحيويتها " (Bell, H. Idris,) *Cults and Creeds in Graeco-Roman Egypt*, p. 64. نعم كانت

العبادات مازالت تمارس ولكنها كانت شكلية وبلا روح ، والرموز الدينية فقدت معناها وأهميتها في عقول الناس . وتحنيط الجثث الذي كانت له الأهمية العظمى في الديانة المصرية أصابه الإهمال وفقدت عبادة الامبراطور أهميتها ، وكان ديسيوس الامبراطور آخر من كتب اسمه على حائط معبد (اسنا) . وقد وجد الرهبان الأوائل أمكنة فسيحة للإقامة فيها في معابد الاله سيرابيس بعد أن هجرها الناس . ويقول أحد الكتاب اسمه أرنوبيوس ان الوثنيين كانوا يلومون أنفسهم لإهمالهم العبادة ، وتقدم المسيحية ، وكانت الطقوس القديمة تؤدى بصورة هزلية " ☆

المسيحيون في المجتمع :

حدث تغيير في الكنيسة في أوائل القرن الثالث . فلم يعد المسيحيون يختفون في بيوتهم ، أو يعبدون سرا . وبالرغم من الاضطهاد كانوا يوجدون في المجتمعات ويذهبون الى الأسواق والملاعب والحمامات . وتصف الرسالة الى " ديوجنيتس " (Diognetus) سلوكهم وحياتهم في العالم مع أنهم ليسوا من العالم : " يعيشون في بلادهم كغرباء كزائرين ... لهم مائدتهم المشتركة ولكنها ليست عامة ، يعيشون في الجسد وهم لا يحيون حسب الجسد ، يسرون في العالم مع أن وطنهم في السماء . يسلكون بحسب القوانين الموضوعة ولكن في حياتهم الخاصة يسمون عليها . يحبون كل الناس رغم أن الجميع يضطهدونهم . فقراء ولكنهم يغنون كثيرين . يحتاجون الى كل شيء ، ولكنهم في كل شيء أغنياء . يحتقرون ولكن مجدهم في هذا الاحتقار . يشتمون ولكنهم يباركون ، يظلمون ولكنهم يبررون ، يعيرون ولكنهم يشكرون " .

نوعية الحياة المسيحية :

لقد لاحظ الناس أن أهم شيء عند المسيحيين هو نوعية الحياة التي يحيونها . فهذه الحياة جعلت بعضهم يقول مندهشا : " انظر كيف يحبون بعضهم بعضا " !! . (اقتبسها ترتليان في الدفاع ٣٩ : ٧) لقد اهتم المسيحيون باخوتهم المسيحيين وبغيرهم . وقد أشار جوليان الامبراطور

الوثنى فى القرن الرابع اليهم وقال : " احسانهم للغرباء وعنايتهم بقبور الموتى وقداسة حياتهم الظاهرة عملت على زيادة الكفر (وهو يعنى المسيحية) وقد تأثر باكونيوس أحد الجيود الرومان فى مصر بالمسيحيين الذين قابلهم لمحبتهم ومثلهم العليا ، فاعتنق المسيحية •

نجاح الكنيسة :

وما أن جاءت نهاية القرن الثالث الميلادى حتى كان الناس يدخلون المسيحية أفواجا - ويذكر يوسابيوس المؤرخ الكنسى أنه زار مصر أثناء الاضطهاد الذى شنه دقلديانوس على المسيحيين ويقول انه رأى الناس يدخلون المسيحية جماعات وقال انه يتوقع أن تصبح المسيحية هى الغالبة • ويذكر أن عدد الأبراشيات قد تضاعف فى تلك الفترة • أما جريجورى - صانع العجايب - فقد ذهب الى قيصرية جديدة فى أسيا الصغرى وعندما وصل هناك لم يكن عدد المسيحيين يزيد على سبعة عشر فردا • ولكن عند ترك المدينة بعد أن مكث فيها عدة سنوات لم يكن فى المدينة سوى سبعة عشر وثنيا • ويرجع ذلك بدون شك الى جرأة القادة المسيحيين فى التبشير مع روح المحبة التى سادت كل المسيحيين ومن الجانب الآخر رأى كثيرون أن الكنيسة سوف تكون موجة المستقبل ، بل المكان الجديد لكل الناس حيث يسود العدل والوحدة والحرية •

انتخاب المسيحيين فى الوظائف العامة :

لم يقف الأمر عند حد تدافع الناس من كل الطبقات للدخول فى المسيحية بل تعداه الى اعتبارهم قادة ممتازين • فقد اختار عامة الشعب قادة الكنيسة ليكونوا لسان حالهم ، وحل الشيخ المسيحي محل الكاهن الوثني كقائد سياسى واختار الرومانيون المسيحيين ليكونوا أعضاء فى البرلمان الرومانى أو قادة للجيش • ولقد خلق هذا الأمر العديد من المشاكل اذ كان من المفروض أن رجال الدولة يشتركون فى الطقوس الوثنية الدينية • ولكن فى بعض الحالات - كما يذكر يوسابيوس - كان الحاكم المسيحي يعفى من ذلك بأمر من الامبراطور وفى بعض الحالات الأخرى التى كان يتحتم فيها على الحاكم المسيحي الاشتراك فى تلك المحافل - كانت الكنيسة تتسامح فى ذلك على شرط ألا يحضر هذا المسيحي الخدمة المسيحية فى فترة عمله • ولكن فى

بعض الحالات الاخرى كان القرار صعبا • ويذكر يوسابيوس قصة جندي مسيحي اسمه ماريتوس كان سيرقى الى رتبة قائد مئة ولكن جنديا آخر اعترض على ذلك لأنه مسيحي وعندئذ خير الجندي المسيحي بين الرتبة مع انكار الايمان أو الموت ، فاختار الموت شهيدا • (التاريخ الكنسى VII : ١٥) •

الكتيبة الطبية والقديس موريتيوس :

مع أن الجزء الأخير من القرن الثالث يعتبر زمنا خاليا من الاضطهادات الا أن التقليد القبطي المصري يروى قصة عن الكتيبة العسكرية الطبية وكانت تتكون كلها من جنود مسيحيين • هذه الكتيبة أرسلت الى سويسرا للخدمة حيث طلب من قائدها موريتيوس أن يقدم ذبيحة للامبراطور فما تان منه الا أن هرب هو وزميلان له ، فقبض عليهم وعذبوا وقطعت رؤوسهم • ولكن هؤلاء الثلاثة أمرهم صوت ملائكي أن يتقدموا ويحملوا رؤوسهم فقاموا ووجدوا مكانا مريحا في أعلى التل • هذه القصة مسجلة فنيا في المنطقة وكذلك في صور مشهورة من أعمال الفنان الأسباني الشهير الجريكو (Elgreco) • وفي أحد ميادين مدينة مورتز ، يرتفع تمثال القديس موريتيوس الذي سميت المدينة باسمه أخذت عن كتاب (*Atiya Aziz S. A History of Eastern Christianity* p. 54) •

ب - تطور الخدمة الادارية في الكنيسة :

رجال الدين والعلمانيون (Clergy and Laity) :

بدأت الادارة الكنسية تتحدد وتتخذ خطوطا نهائية خلال القرن الثالث الميلادي • فظهر التمييز بين الكليروس والعلمانيين • أما الكلمة (Clerk) الانجليزى (معناها الكاتب) فهي تأتي من " كليروس " اليونانية • أما الكلمة (Dean) ومعناها " عميد " فهي كلمة عسكرية ومعناها قائد عشرة • وهكذا استعيرت بعض هذه الكلمات من الادارة الرومانية المدنية ، وعمل هذا التمييز في الألقاب على وجود الفوارق بين رجال الدين وعامة الشعب •

أساقفة وشيوخ وشمامسة :

كانت الرتب الرئيسية الثلاث في الكنيسة في كل جهات العالم هي :
الأساقفة والشيوخ (وقد أطلق عليهم بعد ذلك لقب الكهنة) والشمامسة •
وكان الشيوخ وكل الكنيسة يرشحون الأسقف ثم يصادق الأساقفة الآخرون على
هذا الترشيح ويرسمونه ، لأنه لا يرسم الأسقف الا الأسقف - أما الشيوخ فكانوا
ينتخبون بواسطة الأساقفة ثم يرتسمون على أيدي الأسقف والشيوخ الآخرين •
أما الشمامسة فيختارهم ويرسمهم الأسقف وحده • وكان الشيوخ - مع أنهم أقل
من الأساقفة في الرتبة - يقومون بكل الطقوس الكنسية لأنهم من رجال الذين •
ثم بدأوا يعينون بالتدريج رعاة للكنائس المحلية إذ زاد عدد الكنائس في
القرى • أما الشمامسة فكانوا مسئولين مسئولية مباشرة أمام الأسقف وكانوا
يساعدونه في الأمور العملية وإلى جانب هذه القائمة كان هناك عدد من الرتب
الصغيرة مثل المرتلين والقراء ، ليساعدوا في العبادة ، ومخرجي الشياطين ثم
الخدم الذين يقومون بصيانة مباني الكنيسة ويحافظون على النظام وقت
الخدمة •

المرأة في الكنيسة :

تشتمل نقوش المقابر على أسماء نساء ، يطلق على بعضهن أسماء
" مبشرات " أو " نبيات " أو " معلمات " والبعض منهن كن من أسر كبيرة لها
ممتلكات وثروات • وكثير من الذين استشهدوا كانوا من النساء • وكانت
للشمامسات مكانة عالية في الكنيسة ، فكن مسئولات عن الاهتمام بالمرأة فتعلمن
وترشدن الجديديات منهن ، وتعتنين بالمرضى والفقراء ، فكان مركزهن أقرب
إلى الكهنة أو الشيوخ • أما الأرامل فبينما كن موضع عناية الكنيسة واحسانها
كن يدعين أيضا للخدمة مثل الشمامسات •

ازدياد أهمية الاساقفة :

نستطيع أن نتفهم لماذا بدأ مركز الأسقف في الازدياد في الأهمية
والسلطان ، إذا رأينا أن أسقفا في كنيسة روما يشرف على عدد من العاملين
يصل إلى ١٥٠ شخصا ، زد على ذلك أن أسقف العاصمة كان يمتاز عن أساقفة
المدن الصغيرة المجاورة لأنه هو الذي كان يرسمهم • وأصبحت ألقاب المطارنة

أو الباباوات أو البطارقة تطلق على أساقفة الاسكندرية وروما وقرطاجنة وأنطاكية . أما الأسقف فكان يطلق عليه لقب " أنبا " أو " آبا " أو " ابسكوبس " في اليونانية وأصبح " البطريرك " لقب المسئول الدينى الاول فى كل قطر بأكمله مثل مصر أو سوريا أو غيرها .

ج - المعمار والفن فى الكنيسة

المسيحيون يبنون الكنائس :

شهد القرن الثالث تطورا فى بناء الكنائس ، فقبل ذلك كان المسيحيون يجتمعون سرا فى البيوت . ولكن عندما بدأت السلطات تسمح لهم باقتناء بعض الممتلكات كالمقابر مثلا ، بدأوا بالتدريج يبنون كنائس بسيطة . (أما عصر الكنائس الضخمة والكاتدرائيات فقد جاء بعد ذلك) . وهناك أدلة معمارية تدل على أنهم كانوا يجرون بعض التعديلات فى المباني العادية لى تصبح أماكن للعبادة .

دورا - يوروبوس (Dura-Europos) :

وقد كشفت الحفريات فى مدينة دورا - يوروبوس على نهر الفرات عن أحسن مثال لبית تحول الى كنيسة . وتدل الشواهد على أن دورا-يوروبوس كانت مملوءة بالمعابد الوثنية . ووجد هناك مجمع يهودى بحالة جيدة وبالقرب منه كنيسة مسيحية وكانت هذه الكنيسة مسكنا ولكن فى سنة ٢٥٠ م تحول هذا المسكن الى كنيسة بازالة حائط داخلى لى يكون هناك مكان متسع للاجتماع وبنيت منصة منخفضة للمذبح والمنبر . وفى حجرة صغيرة عملت المعمودية . ويظهر على الحوائط آثار بعض الرسومات مثل الراعى الصالح وهو يحمل الحملان (يوحنا ١٠ : ١٤ - ١٦) . ثم يسوع يشفى المفلوج (مرقس ٢ : ٥) . ويسوع ينتشل بطرس من الماء الى السفينة (متى ١٤ : ٣١) . والمرأة السامرية عند بئر يعقوب (يوحنا ٤ : ١٠) والنساء الثلاث عند القبر

الفارغ (مرقس ١٦) • أما بقية المسكن والفناء الملحق به فالأرجح أنها كانت تستخدم للإدارة الكنسية ومسكن للأسقف •

الفن المسيحي

بدأ المسيحيون يعبرون عن معتقداتهم بالرسم : وقد حولوا أحيانا بعض الموضوعات الوثنية الى معان مسيحية مثل الراعى الصالح ، يونان ، المسيح يعلم (مثل فيلسوف اغريقى) المركب فى البحر (ترمز الى الكنيسة) الصياد وهو يلقي الشبكة • وبالمثل فعلوا بالأحداث الشهيرة فى العهد القديم وصلتها بالعهد الجديد مثل ابراهيم واسحق ونوح ودانيال وداود (يرمزون الى الخلاص) • ويونان وقد كان رمزا مفضلا لأن يسوع ذكره فى معرض كلامه عن القيامة وكذلك موسى وهو يرفع الحية فى البرية أو يخرج المياه من الصخرة ، مع بعض أحداث العهد الجديد مثل المجوس وسجودهم للطفل ، وعمودية المسيح واقامة لعازر والعشاء الرباني (سر الشكر) وكثيرا ماكانوا يعبرون عنه بسلة خبز وسمكة ، وكان الارتباط بين أشباع الأربعة الالاف والخمسة بخبز وسمك مثالا للعشاء الأخير ولوليمة المسيا الأخيرة (رؤيا ١٩ : ٩) • وهذه الرسومات كانت بدائية وغير متقنة ولكنها كانت تبين أن المسيحيين فى أوقات الاضطهاد والألم كانوا يريدون التعبير عن ايمانهم بأشكال لها قيمتها للأجيال المقبلة •

د - النظام والعبادة فى الكنيسة

الأعضاء الجدد فى الكنيسة :

ان ما تميزت به كنيسة القرن الثالث بحق هو ازدياد شعورها بوجوب النظام والترتيب • ويصف التقليد الرسولى (فى القرن الثالث) - الذى ينسب عادة الى هيبوليتس (١٧٠ - ٢٣٦ م) الرومانى - كيف كان يقبل الأعضاء الجدد فى الكنيسة • فكان المرشح للعضوية يتقدم عن طريق بعض المسيحيين الآخرين ويختبره الشيوخ فيسألونه عن الدوافع لدخوله المسيحية

وعن مهنته ومركزه الاجتماعى وعندما يتقرر قبوله ، يلقنه بعض التعاليم ثم يصلى ويقبله قبلة السلام ويظل يتعلم عدة أيام ويصوم يومين قبل المعمودية • فى هذه الفترة يسمح له بحضور اجتماعات المسيحيين لقراءة الكتب المقدسة وشرحها ، وقبلة السلام والصلاة لأجل الذين يتأهلون للمعمودية • ولكنه كان يخرج قبل عشاء الرب الذى كان ممنوعا عن الذين لم يتعمدوا بعد •

المعمودية :

تطور طقس المعمودية الى ممارسات معقدة • فكان على المعمد أن يخلع ملابسه الخارجية • والنساء يرخين شعورهن ويخلعن حليهن • ثم يجحدون الشيطان وكل أعماله • وكان يفضل إجراء المعمودية فى مياه جارية ويغطس المعمد ثلاث مرات فى الماء باسم الآب والابن والروح القدس • وكان السكب مسموحا به ولكن لم يكن هو العادة المتبعة • وعند خروج المتعمد من المعمودية كان يدوق شيئا من الشهد واللبن علامة قبوله الولادة الجديدة فى المسيح ثم يتجه الى الغرب ويدهنه الكاهن بالزيت ويضع رأسه بجانب رأسه علامة على قبوله الروح القدس وهناك ما يدل على أن معمودية الأطفال كانت قد بدأت فى الظهور ولكنها لم تصبح أمرا عاديا الا بعد ذلك بزمان • ويجدر بنا أن نذكر قصة المعمودية فى الكنيسة الغربية فى بداية القرن الثالث الميلادى كما يذكرها هيبوليتس : " عندما يذهب الشخص المتعمد الى الماء كان يضع الشخص الذى يعمده يده عليه ويسأله : " هل تؤمن بالله الآب القادر على كل شيء ؟ فيجيب المعمد : " أومن " • وعندما يمسك المعمد بيد المتعمد ليغطسه مرة ، ثم يسأله : " هل تؤمن بيسوع المسيح ابن الله الذى ولد بالروح القدس من العذراء مريم وصلب على عهد بيلاطس البنطى ومات ودفن وقام ثانية من بين الأموات وصعد الى السماء وجلس عن يمين الآب وسوف يأتى ليدين الأحياء والأموات ؟ وعندما يجيب : " نعم أومن " يغطسه مرة ثانية • ثم يقول له : هل تؤمن بالروح القدس والكنيسة المقدسة وقيامه الجسد " ؟ فيجيب المتعمد : " أومن " عندئذ يغطسه مرة ثالثة • (Eerdman's Handbook to the History of Christianity p. 115.)

غفران الخطايا :

ذكرنا سالفاً موضوع الخطايا التي يمكن غفرانها والتي لا تغتفر . وكان هناك - أمثال ترتليان وهيبوليتس ونوفاتيان - من يقولون ان الارتداد والقتل والزنى خطايا لا تغتفر . ولكن كان هناك أيضا من يعارض هذا الرأي مثل أوريجانوس وكاليسستوس وسيبريان وديونيسيوس ، وقد فاز رأيهم المعتدل هذا . ولقد سمح المجمع الذي اجتمع في روما سنة ٢٥١م والآخر الذي اجتمع في قرطاجنة سنة ٢١٢ بقبول رجوع الذين ارتدوا تحت ضغط التعذيب ولكن كان لهؤلاء أحكام شديدة للتوبة . فكان يقطع التائب من الجماعة لمدة تطول أو تقصر بحسب جسامة الذنب الذي ارتكبه أو قد ترجع الى مرحلة الشخص الذي يرغب في دخول المسيحية من جديد ثم يوضع تحت الاختبار مدة قبل أن يقبل في الجماعة . وفي العادة كانت الاجراءات المطلوبة منه تفوق تلك التي يطلبونها من الشخص الذي يريد أن يدخل المسيحية للمرة الأولى ، لأنه قد أثبت أنه لا يستطيع أن يحيا حياة مسيحية ولذلك فعليه أن يبرهن على أن تجديده هذه المرة تجديد صادق . ويذكر ترتليان في كتابه عن " التوبة " أن التائب يجب أن يعترف بكل تواضع أمام الجميع " ويجب أن يستمر في الصلاة والصوم والانيين والبكاء ، ويصرخ الى الرب ثم يجثو عند أقدام الشيوخ ويركع أمام أحبائه الله (الجماعة) " . وعلى أي حال فقد تقرر في ذلك الوقت أنه لا يمكن أن تحرم الكنيسة انسانا من المغفرة النهائية .

مستويان روحيان :

وهناك حقيقة أخرى استطاعت الكنيسة أن تدركها وهي أنها لا تستطيع أن تنتظر مستوى واحدا من السلوك من كل أعضائها . فظلت الكنيسة لسنين عديدة تظن في نفسها أنها عروس المسيح " بدون دنس أو غصن أو شيء من مثل ذلك " (أفسس ٥ : ٢٧) . ولكن عندما ازداد عدد أعضائها ، واجهتها مشكلة أولئك الذين كانوا أمناء على قدر طاقتهم ، ولكنهم مع ذلك لم يقطعوا علاقتهم بالعالم كلية ولم يكن سلوكهم كاملا . وكان ممن اعترفوا بوجود

المشكلة كاليستوس الروماني الذي شبه الكنيسة بفلك نوح الذي كان به " أشياء طاهرة وأخرى غير طاهرة " وقد ميز ترتليان وأوريغانوس بين الأمور المطلوبة والأمور المرغوبة كما أشار الرسول بولس الى العزوبية وفضلها ولكنه لم يأمر بها (١ كورنثوس ٧ : ٨) • وكان نذر الفقر والعزوبية من أقسى الأمور على كثير من المسيحيين ولكنهما يضيفان مجدا خاصا على من يلتزم بهما • وهكذا صار هذا المفهوم للسلوك المسيحي الرفيع والسلوك المنخفض أساسا لحياة الكهنوت المتبلة ، والنظرة المختلفة من الرهبانية التي ترجع أصولها الى تلك الفترة •

العشاء الرباني :

أما بخصوص سر الشكر (العشاء الرباني) فقد تحدثت بعض الاتجاهات التي كانت قد ظهرت في عهد جاستن الشهيد وإيريناوس • وهذه الاتجاهات تتلخص في الآتي :

١ - ان العشاء الرباني هو سر فيه يحل المسيح حقيقة (ولكن " كيفية " هذا الحل لم تناقش لسنوات عديدة) وفيه يشترك المؤمن في الجسد والدم •

٢ - وهو ذبيحة يقدمها الكاهن الى الله (الكاهن وليس شخص آخر) ويطلب من الله النعمة للأحياء والأموات • ويقدم سيرريان شرحا جيدا لذلك فيقول : " لأنه اذا كان المسيح يسوع ربنا والهناء هو نفسه رئيس كهنة الله الأب ، قد قدم نفسه ذبيحة لله الأب ، ثم أمر أن يعمل هذا الأمر نفسه لذكره ، فهذا الكاهن يحل محل المسيح ويقلد ما فعله المسيح ، فيقدم ذبيحة حقيقية وكاملة في الكنيسة وعندما يكون كمن رأى المسيح نفسه يقدمها " (رسائل ٦٢ - ٦٣ : ١٤) • وكانت الكنيسة تقدم العشاء الرباني كل يوم أحد ، ولكن كانت هناك بعض الاجتماعات الأخرى : فكان هناك اجتماع خاص كل يوم للتعليم واجتماع آخر نسائي وعندما كانت تضاء المصابيح يتقدم الأسقف أو الشيخ ليشكر الله على عطايا اليوم كله • وكانت هناك ولائم المحبة التي يرأسها الأسقف ،

التي تبدأ بالبركة ثم التسبيح من بعض المزامير وبركة الناس • وإلى جانب الصوم الأسبوعي يومى الأربعاء والجمعة ، فقد وضعت الكنيسة أياما خاصة كثيرة للصوم وبخاصة قبل عيد القيامة وذلك للتوبة والاستعداد للعيد • وكانت هناك أيضا أيام لتذكّار الشهداء فى ذكرى استشهادهم مع وليمة تؤكل بالقرب من قبورهم كما هو واضح فى سراديب روما •

يوم الرب :

بدأ التغيير فى يوم العبادة والراحة من يوم السبت الى يوم الأحد من بداية القرن الأول نتيجة لانفصال المسيحيين عن المجتمع اليهودى • فعندما طرد المسيحيون من الهيكل والمجمع بدأوا يمارسون عشاء الرب فى مساء يوم السبت ، ولكن لما أعلن الامبراطور تراجان أن اجتماعات المساء أمر غير مسموح به وغير قانونى تحولت العبادة الى يوم الأحد صباحا ، هذا ووجد التغيير ، الذى رسخ أكثر فأكثر بمرور الأيام ، وجد فى قيامة المسيح أساسا لاهوتيا له لأنها حدثت فى يوم الأحد أول أيام الأسبوع وهكذا أصبح يوم الأحد هو يوم الرب • وقد سُمى يوم الأحد بيوم الرب فى كتاب تعليم الرسل (١٤) كما دعاه كذلك اغناطيوس (٩٨ - ١٣٥ م) • وجاستن الشهيد (١٠٠ - ١٦٥ م) • وقد كتب ميليتو (Mileto) الذى من ساردس (توفى سنة ١٩٠ م) رسالة يؤيد فيها حقيقة أن يوم الأحد هو يوم الرب †

† انظر J. D. Douglas, Editor, *The New International Dictionary of The Christian Church* p. 939.

Recommended English Readings

1. Danielou, J. and Marrou, H. *The Christian Centuries*, Vol. I. *The First 600 Years*, pp. 159-172.
2. Frend, W. H. C. *The Early Church*, pp 119 124 and *Martyrdom and Persecution in the Early Church*, pp. 324-350.
3. Lietzmann, Hans. *A History of the Early Church*, Vol. III. pp. 57-60.
4. Walker, Williston. *A History of the Christian Church*, pp. 81-97.

هـ - بولس الساموتى Poul of Samosato

الخلاف بين أنطاكية والاسكندرية :

فى القرن الثالث المسيحى بدأ التنافس بين أنطاكية والاسكندرية بتطور أدى الى النزاع الحاد الذى أثاره أريوس فى القرن الرابع • ومع أن الخلاف اللاهوتى حول الملكية الديناميكية أو التبنى قد انتشر فى الجناحين الشرقى والغربى من الكنيسة ، الا أن المشاعر كانت أكثر حدة فى شرق البحر الأبيض المتوسط ردا على تلك العوامل الحضارية والاقتصادية والسياسية التى زادت من شدة الخلاف • ويعتبر بولس الساموساتى ممثلا قويا لهذا النزاع •

بولس الساموساتى كما يصفه أعداؤه :

اختير هذا الرجل أسقفا لأنطاكية فى سنة ٢٦٠ م ، ولأنه كان مفضلا عند الملكة زنوبيا ملكة تدمر فقد اختارته أيضا وزيرا للمالية • ويقول يوسابيوس انه صار غنيا وكان يلبس أفخر الثياب ، وبنى لنفسه عرشا فى الكنيسة • وكان يقوم بالخدمة كأمر ليس كخادم للكنيسة • وقد حكم عليه بالهرطقة مجمع أنطاكية سنة ٢٦٨ م ، ولكن تأييد الملكة زنوبيا له أبقاه فى مقر الأسقفية وما وصل إلينا من تاريخ حياته ، جاء من جانب واحد هو جانب أعدائه حيث حكم عليه بالهرطقة •

الامبراطور يستشير الكنيسة :

فى سنة ٢٧٢ م تمكن الامبراطور أوريليان من هزيمة الملكة زنوبيا وأسرها • فتقدم بولس الساموساتى بالتماس الى الامبراطور لابقائه فى مقر الأسقفية ، فأعلن الامبراطور أن " البيت " يملكه أولئك الذين " لهم شركة مع أساقفة المسيحية فى روما " (تاريخ يوسابيوس ٧.١١ م) • ويعتبر هذا الحكم فى غاية الأهمية ، فهو يكشف عن أن الحكومة بدأت تعترف بسلطان الكنيسة ، وأن تأثيرها بدأ يكون له اعتباره •

عقيدة بولس الساموساتى فى المسيح :

يقول الساموساتى ان ناسوت المسيح قد تضاءل فى عقيدة " المسيح الكلمة " التى تبناها أوريجانوس ، فهو لم يفكر فى " اللوجوس " كأقنوم متميز فى اللاهوت ، بل كصفة لله نفسه بواسطتها ألهم الإنسان يسوع المسيح ورفع . وقال ان الاتحاد الجوهرى بين شخصين مستحيل ، أما الممكن فهو اتحاد الغرض والارادة . وكتب يقول :

" الطبائع natures المختلفة والأشخاص المختلفين ليس أمامهم الا طريقة واحدة للاتحاد هى اتحاد الارادة " (بقايا خطاب للساموساتى اقتبسه (McGiffert, *A History of Christian thought*, p. 243.)

الساموساتى وفكرة التبنى :

ولكن الساموساتى كان يعتقد أيضا أن يسوع كان أكثر من انسان عادى ، فقد أعطاه الله العقل الالهى وعاش مع الله تماما يحبه ويتمم ارادته الكاملة فى كل شئ . ولذلك فقد أقامه الله بحق من الأموات وأعطاه سلطانا الهيا ، وعينه ليكون مخلص الجنس البشرى. وديانته . بهذا المفهوم اعتبر بولس الساموساتى ان الله تبنى يسوع .
الكلمة جوهر (Homoousion) :

كان الساموساتى هو أول من استخدم الكلمة " Homoousion " (وتعنى من نفس الجوهر) فى وصف وحدة اللاهوت ولكن هذا الاصطلاح اعتبره علماء لاهوت " اللوجوس " هرطقة . مع أن هذا الاصطلاح صار حجر الزاوية للاهوت المستقيم فى مجمع نيقية .
النزاع داخل الكنيسة :

ومع أن المناقشات اللاهوتية بين الكنائس كانت لها جوانبها الايجابية ، لكنها أدت الى العداء ومشاعر المرارة بين قادة الكنائس . وقد نظر يوسابيوس المؤرخ الكنسى الى ذلك العصر نظرة تشاؤمية وكتب فى أواخر ذلك القرن يقول : " نتيجة للحرية ، أصبحت الكبرياء والفتور يسوداننا فى كل أمورنا ، فأصبحنا نحسد بعضنا بعضا ، ويعادى أحدا الآخر . ونحارب بعضنا بعضا بأسلحة الكلام . فالحاكم يهاجم الحاكم ، وينقسم عامة الشعب الى أحزاب وطوائف بينما يملؤهم الرياء والكاذب والتظاهر ، لتغطية حياتهم الشريرة الى النهاية " ولكن صراعات أشرس كانت تنتظر الكنيسة فى القرن الرابع .

Recommended English Reading

1. Danielou, J. and Marrou, H. *The Christian Centuries*, Vol. I.
The First Six Hundred Years, pp. 213-214 , 216 218.
2. Frend, W. H. C. *The Early Church*, pp. 125-126.
3. Lietzmann, Hans. *A History of The Early Church* ,Vol III. pp.
99-103.
4. McGiffert, A. C. *A History of Christian Thought*, Vol .I .pp
241-245.

و - الحركات الفلسفية والدينية خارج الكنيسة

فى النصف الثانى من القرن الثالث الميلادى ظهر تحد آخر للكنيسة ، من جماعات خارج دائرة سلطانها ، هذه الجماعات كانت توجه نقدا عقلانيا ضد المسيحية ، ومن الناحية الأخرى ظهرت حركة انتعاش فى العقائد والعبادات الوثنية . وكانت أبرز هذه الحركات الحركة الأفلاطونية الجديدة والمانية والمترائية .

١ - الأفلاطونية الجديدة :

فى ذلك العصر استمرت الفلسفة اليونانية فى جاذبيتها للوثنيين والمسيحيين معا . فقد كان الفيلسوفان الوثنيان الرومانيان " بلوتينوس " (Plotinus) (٢٠٩ - ٢٧٠ م) و " بورفرى " (Porphyry) (٢٣٢ - ٣٠٣ م) وكذلك أوريجانوس المفكر المسيحى العظيم يدينون بالفضل لفيلسوف الأفلاطونية الجديدة " أمونيوس سكاس " (Ammonios Sakkas) الاسكندرى (١٧٥ - ٢٤٢ م) .

بلوتينوس وبورفرى :

كان بلوتينوس يعلم بأفلاطونية عالية المثالية مملوءة بالتفاؤل ويعيش حياة زاهدة على مثال حياة الرواقيين . وقد اقتفى أثره تلميذه بورفرى ، وضم الى تعاليمه شيئا كثيرا يشابه المسيحية فكانت فلسفته تتكون من ثلاثة عناصر رئيسية : " الايمان " ، " المحبة " ، " الرجاء " ، والتي تذكرنا بعبارات الرسول بولس المشهورة الايمان والرجاء والمحبة (١ كورنثوس ١٣) . أما موقفهما من المسيحية ، فقد انتقد بلوتينوس عقائدها ولكنه لم يثر حملة ضدها كما فعل بورفرى الذى كتب خمسة عشر كتابا يهاجم فيها المسيحية . ولكن لم يصلنا منها الا القليل مما حفظ فى كتابات الآخرين .

بورفرى يهاجم المسيحية :

كان بورفرى يكره المسيحيين وكل مايتصل بهم • وكان يهاجم الكنيسة بالنقد الساخر للتعاليم المسيحية الموجودة فى الكتب المقدسة • وكانت طريقته فى ذلك شبيهة بطريقة " سلسوس " الذى تصدى له أوريجانوس وفند كلامه • اتهم بورفرى المسيحيين بأنهم تبنا خرافات اليهود فقبلوا فى " ايمان أعمى " امكانية وجود " ابن الله " وأنه تألم ومات وقام من بين الأموات ، بل انتقد تعاليم يسوع نفسها ووصفها بأنها تعاليم صبيانية لامعنى لها • واتهم المسيح نفسه بأنه كان جبانا رعيديا • وسخر من القديسين بطرس وبولس • وهاجم الأسلوب المجازى الذى فسر به أوريجانوس الكتاب المقدس مع أنه هو نفسه فعل نفس الشئ فى كتابه عن هوميروس • وهذا كله يدل على أن بورفرى كان يرى أن تعاليم المسيحية تهدده ، فهجومه الشرس على المسيحية كان يكشف عن خوفه من انتصار الانجيل اذا آمن به كثيرون وسوف تندحر أمامه الفلسفة والحضارة اللتان أحبهما • ويظن البعض أن هجوم بورفرى على المسيحية كان باعثا على الاضطهاد الذى شنه على المسيحيين الامبراطور دقلديانوس •

٢ - المترائية (Mithraism)

ظهرت المترائية فى العبادة الفارسية لاله النور فى القرن الخامس قبل الميلاد ، وانتشرت فى أرجاء امبراطورية الاسكندر الأكبر ووصلت الى روما فى القرن الأول قبل الميلاد ، وصارت هى الديانة المرغوبة فى نهاية القرن الثالث الميلادى وكانت ديانة سرية لها طقوس سرية تتضمن تقديم ثيران كذبائح والمعمودية فى دمائها • وانتشرت هذه الديانة بين الجنود وأقيمت لها مذابح فى جميع جهات الامبراطورية حيث كان يجتمع الجنود للعبادة • وكانت تؤمن بتعدد الالهة وتفتح صدرها لآلهة كثيرة جديدة وقديمة وترفع الامبراطور الرومانى الى مستوى الآلهة • وكان الامبراطور يعنبر فوق سائر البشر لأن فيه صفات الآلهة ، وهذا هو السبب فى ارتباط الامبراطور قسطنطين باله الشمس • وكان تأثير المترائية عظيما فى الامبراطورية حتى ان الامبراطور اعتبر مقدسا بطريقة ما حتى فى العصر المسيحى •

٣ - المانية (Manichaeism)

حياة مانى :

كاثت المانية من صنع مانى الذى ولد فى فارس عام ٢١٦ م ثم أعلن نفسه نبيا ينادى بديانة جديدة وقد نال رضى الملك الفارسى " شابور " وكان يتردد على البلاط الملكى . واستطاع " مانى " - تحت رعاية الملك - أن يكتب ستة كتب وخطابات وأصبحت هى الأساس للديانة المانية . ولقد اختار مانى عناصر ديانته من الزرادشتية والبوذية واليهودية والمسيحية ، وضمها معا ليخلق الديانة " الكاملة " . وقد اعتبر نفسه " الباراكليت " أى الروح القدس ، الذى وعد به يسوع المسيح وكان يبدأ خطابه بقوله " مانى رسول يسوع المسيح " . وقد ألقى به فى السجن بأمر من امبراطور آخر بتأثير من الكهنة الزرادشتيين . وأخيرا أعدم سنة ٢٧٧ م . واضطهد الأباطرة الرومان المانية أيضا لأنهم اعتيروها وباء شرقيا مفسدا . ويقول البعض ان دقلديانوس اضطهد المسيحية امتدادا لاضطهاده للمانية . ولكن المانية انتشرت فى كل حوض البحر الأبيض المتوسط ووصلت الى الصين ، ويحتمل أنها استمرت حتى القرن الثامن الميلادى .

عقائد المانية :

المانية فلسفة ثنائية فهمى تقول ان النور والظلمة ، الخير والشر فى صراع أبدي . والبشرية سجت فى عالم المادة . أما الله (أبو الصلاح) فقد أرسل رسلا مثل يسوع ومانى ليحرروا البشرية . وهذا الخلاص يؤسس على معرفة الانسان الصحيحة الطبيعية الحقيقية ورغبته فى العودة الى عالم النور . وقد تشجع أتباعه فعاشوا حياة فى غاية الزهد لأنهم تعلموا أن المادة شر ، فلم يشربوا الخمر ، ولم يأكلوا اللحم ولم يخالطوا النساء ، وكانوا ينتظرون المجيء الثانى للمسيح ليحكم ألف سنة وحينئذ تأتى النهاية فيتححر المختارون من عالم المادة ويتحدون بمملكة النور أما الخليقة الشريرة فسوف تبعد وتنتهى .

المانية فى مصر :

جاء رسل المانية ينشرون ديانتهم فى مصر بينما كانت الكنيسة المصرية تناضل ضد الغنوسية والدوسيتية • ولكن بطريرك الاسكندرية " الأسقف ثاونا " حرمهم • ولكن رجلا مسيحيا اسمه " هيراكاس " (Hieracas) جمع حوله بعض الأتباع وحثهم على أن يتخلصوا من حياة الجسد حتى تتحرر أرواحهم من أجسادهم (فالمانية لاتؤمن بقيامة الأجساد) • وقد نجح هيراكاس فى ذلك حتى انه سبب ضيقا للقادة المسيحيين الذين طلبوا ممن يريدون الدخول فى المسيحية أن يشجبوا هيراكاس وكل أعماله قبل أن يقبلوا كأعضاء كاملين فى الكنيسة (من كتاب W. H. C. Frend, *Martyrdom and Persecution in The Early Church*, p. 337, انتصرت المسيحية ضد تحدى الفلسفة والديانات الوثنية ، وعاشت هى بينما اندثر غيرها من تلك الديانات ، لكن الكنيسة تعرضت للاضطراب • فبعض الأعضاء سقطوا فى تجربة الانضمام الى الجماعات المتطرفة ، كما وجدت بعض التعاليم الوثنية طريقها الى الكنيسة • وكان تأثيرها على المناقشات اللاهوتية فى القرن الرابع • وكان لكتابات غير المسيحيين أثر ضدها • ولكن كما تعرف ، انتصرت الكنيسة رغم كل التجارب المحرقة التى جازت فيها حينما شب لهيب اضطهاد دقلديانوس •

Recommended English Reading

- 1 Bruce, F. F. *The Spreading Flame*, pp. 287-288.**
- 2 Danielou, J. and Marrou, H. *The Christian Centuries*, Vol. I, *The First Six Hundred Years*, pp. 192-194.**
- 3 Frend, W. H. C. *Martyrdom and Persecution in The Early Church*, pp. 355-359.**
- 4 Lietzmann, Hans. *A History of The Early Church*, Vol. III, pp. 32-46.**
- 5. Walker, Williston. *A History of The Christian Church*, pp. 97-99.**

ز - اضطهاد دقلديانوس (Diocletian Persecution)

١ - عدم الاستقرار السياسى والاقتصادى

مع أن الكنيسة لم تتعرض للاضطهادات المنظمة منذ عام ٢٥٩ م إلا أن الامبراطورية كانت تجوز فى فترة عدم استقرار شديدة • فمنذ أن مات ماركس أوريليوس (١٨٠ م) لم يستطع واحد من الأباطرة أن يضمن عرشه أو نفسه ، فقد كان كل واحد منهم أسيرا للقوات المسلحة التى كانت تتخلص منه عندما تريد ، والدليل على ذلك هو أن خمسة وعشرين امبراطورا حكموا ما بين سنتى ١٨٠ - ٢٨٤ م قتل منهم واحد وعشرون ، زد على ذلك التهديد المستمر من الممالك والقبائل على الحدود الشرقية والشمالية للامبراطورية • كل ذلك مع الضرائب الثقيلة المتزايدة والتضخم المستمر مما جعل الحياة الاقتصادية تنهار •

الكنيسة تزداد عددا وتأثيرا :

أما المسيحية فقد تقدمت تقدما عظيما لاشك فيه ، فقد كان المسيحيون يبنون كنائس جديدة وضخمة فى كل مكان • ولقد شجعت فترة السلام التى كانت تمر بها الكنيسة ، الكثيرين من كل الطبقات على قبول المسيحية • وظهر المسيحيون فى البلاد والجيش وفى بعض المحاكم العليا ، وفى الحكومة حتى أن الامبراطورة بريسكا زوجة دقلديانوس الأثيرة عنده وابنته فاليريا صارتا مسيحيتين • وأصبح الاساقفة يتمتعون باحترام حكام المقاطعات ، وصارت للكنيسة أهميتها وتأثيرها فى نواح كثيرة من الحياة الرومانية • ولهذا السبب نظروا الى الكنيسة كتهديد قوى لامبراطورية تحارب لأجل البقاء •

اصلاحات دقلديانوس :

اعتلى دقلديانوس سنة ٢٨٤ م عرش الامبراطورية • وكان من أعظم الحكام الرومانيين وبدأ اصلاحاته الادارية بأن قسم الامبراطورية الى قسمين :

الشرقى والغربى • وصل لكل قسم أوغسطس (امبراطور) ويلييه قيصر • وكان دقلديانوس برتبة أوغسطس فى الشرق ومعه جاليريوس قيصر • ثم ماكسيميان أوغسطس فى الغرب مع قسطنطينوس قيصر • لكن دقلديانوس كان الامبراطور الأعلى على الجميع وكان يؤكد سلطانه الالهى فى مركزه • فقد كان " ربا والها " وليس " المواطن القائد " كما كان الأباطرة السابقون • ثم زاد عدد الجيش وجعله القوة الحاكمة فى كل الامبراطورية • ومع أن هذه الاصلاحات جاءت بالاستقرار والنظام الا أنها أنقصت كثيرا من حرية الناس •

٢ - أسباب الأضطهاد

دوافع دقلديانوس :

بعد تسع سنوات من ارتقائه العرش ، انقلب دقلديانوس على الكنيسة فى سنة ٣٠٣ م ، وبدأت أقسى فترة للاضطهاد عرفتھا الكنيسة • أما سبب انقلابه المفاجئ هذا ، فما زال محل جدل • الا أن هناك أسبابا يمكن استقراؤها • أول كل شئ كان دقلديانوس يحاول جهده أن يعيد النظام ، ولكنه رأى فى الديانات الغريبة عاملا للاضطراب ، فأصدر مرسوما ضد المانية سنة ٢٩٧ م ★ ولا يد أنه كانت لديه نفس مشاعر العداء ضد المسيحية • زد على ذلك أن محاولته استعادة الوحدة الدينية متمثلة فى عبادة الامبراطور ، قد اصطدمت مباشرة بالمجتمع المسيحى النامى الذى رأيناه يتزايد بسرعة ، مما أثار ضده نيران الأفلاطونية الجديدة وبلوتينوس وبورفرى الذين اتهموا المسيحيين بأنهم عديمو الاحساس الوطنى ، وأنهم يحاولون إثارة الرعاع بل انهم يعادون الدولة • هذه الاتهامات التقطها وبالح فى أحد الحكام فى بثينية وذكر دقلديانوس بالخطر المحدق من جراء المسيحيين ، ولقد كان للامبراطور نفسه اختبار شخصى أوغر صدره ضدهم فقد استشار كاهن الآلهة الوثنية فى أنطاكية ولكن الكاهن قال له ان الآلهة لا ترد عليه لأنه يوجد فى الاجتماع بعض المسيحيين الذين يلبسون الصليب • وفى نفس الوقت كان قيصره جاليروس وأمه الوثنية

★ " انه مع أبشع الجرائم أن يحاول الانسان أن يبطل أو يغير العوائد الثابتة منذ البدء ولها مركزها اللائق بها " (Codex Gergorianus,Book III) •

يوعران اليه بأن مشاكل الامبراطورية يمكن أن تحل اذا سحقت المسيحية .
فرجع دقلديانوس ليستشير الآلهة ولكنها لم ترد (والسبب في ذلك كما يقول
" لاقتانتيوس " Lactantius - وهو مؤرخ مسيحي - هو أن قوة روحية أخرى
أكثر تأثيرا كانت تمنع الاعلان الوثني قاصدا بذلك المسيحية) . وازاء
ذلك لم يكن دقلديانوس في حاجة الى دافع آخر ، وأصبح سحق المسيحية
ضرورة حتمية .

٣ - ابتداء الأضطهاد العظيم

ابادة الكنيسة :

في الثالث والعشرين من شهر فبراير سنة ٣٠٣م أصدر دقلديانوس أمره
بابادة الكنيسة في نيقوميديا (آسيا الصغرى) أحرق الكتب المقدسة وأعطى
الاثاث للرعاع . أما المسيحيون فقد طردوا من وظائفهم وحرموا من ألقابهم
ومنعوا من الشهادة في المحاكم . ويقال ان دقلديانوس لم يكن يرغب في اراقة
الدماء ولكن ماأثاره بشدة أن أحد المسيحيين انتزع مرسومه الذى كان معلقا
في ساحة المدينة ومزقه . فأمر بأن يقبض على هذا الانسان ويحرق حيا . ومما
زاد الأمر سوءا أن شبت النار في القصر فأصدر الامبراطور أمرا أشد قسوة
وبموجبه أعدم كثيرون من المسيحيين ثم أجبرت الامبراطورة بريسكا وابنتها
فاليريا على تقديم ذبيحة للامبراطور . وقام المسيحيون في سوريا بثورة
احتجاجية لكنها أخمدت بكل قسوة .

قادة الكنيسة يسجنون :

وتؤكد السجلات أن جاليريوس كان يؤيد دقلديانوس في المزيد من
الاضطهاد والضغط على المسيحيين . ففي الصيف التالى أرسلت تعليمات الى
الحكام لاجبار كبار المسيحيين في الكنائس على تقديم ذبائح للامبراطور أو
أن يسجنوا . ويقول يوسابيوس : " في كل مدينة سجن عدد من قادة
الكنيسة . والسجون التى بنيت من قبل للمقتلة واللصوص الخطيرين امتلأت
بالأساقفة والشيوخ والشمامسة والقرائين ومخرجى الشياطين حتى لم يبق فيها
مكان لوضع المحكوم عليهم بسبب الجرائم " (تاريخ كنسى ٨ : ٦) .

الاعدام الجماعى :

يخبرنا يوسابيوس الذى رأى كثيرا من هذه الاضطهادات أن الاضطهاد وصل الى ذروته فكان المسيحيون يعدمون بالجملة • وفى فريجية أحاط الأعداء بالكنيسة وأغلقوا أبوابها وأحرقوها بمن فيها • وفى نيقوميديا كان الناس يؤخذون بالجملة ويقيدون ويلقون من المراكب الى البحر • وفى مصر تعب الجلادون من قطع رؤوس المسيحيين • وأحيانا كانوا يستبدلون عقوبة القتل ببتير أعضاء الجسم وقلع العيون أو حرق عضلات أحد الساقين فلا يستطيع الشخص أن يهرب • ولكن الى ذلك الوقت كان العقاب ينزل بقيادة الكنيسة فقط • ولكن فى عام ٣٠٤ م صدر مرسوم رابع يطلب من عامة الشعب أن يقدموا الذبائح للامبراطور • وحينئذ نزل الاضطهاد بكل قوته على الجميع ولم يستثن أحد من الرجال أو النساء أو الأطفال أو الشيوخ •

الاضطهاد يبلغ مداه فى الشرق :

قرر دقلديانوس أن يعتزل الحكم لمرضه فى سنة ٣٠٥ م فخلفه فى الحكم جاليريوس الذى انتهز فرصة وجوده فى منصبه الجديد فزاد من الاضطهاد • وقد وصل الاضطهاد ذروته فى شرق البحر الأبيض المتوسط وساحل أفريقيا الشمالى ، أما فى الغرب فقد كان الحكام أقل تحمسا أو حاجة الى تنفيذ الأوامر على كل انسان (مع أن الشهيد البريطانى الأول القديس ألبان أعدم فى تلك الفترة) • وتقول بعض السجلات انه كان يسمح للمسيحيين بالمرور فى بعض الأماكن فى صفوف بجانب المذبح والتظاهر بتقديم الذبيحة للامبراطور ، ومن لم يفعل ذلك كان يمسك الجندى بيده ويجبره على تقديمها • وفى أماكن كثيرة كان حماس الجماهير للاضطهاد أقل كثيرا مما كان فى السنوات السابقة لهذا الوقت •

ابادة الكتب المقدسة :

كانت السلطات تعتقد أنه فى استطاعتها اضعاف الكنيسة بآبادة الكتب المقدسة • ولكن كان المسيحيون يدافعون بحياتهم عن الكتب المقدسة الثمينة المكتوبة بخط اليد • وفى بعض الأحيان أخفيت هذه الكتب • وفى أوقات أخرى كانوا يعطون الجنود كل شئ آخر فى الكنيسة : الأطباق والكؤوس الفضية

والستائر والأردية... الخ وآخر الكل كانوا يرغمون على تسليم الكتاب المقدس ليعدم • أما أسقف قرطاجنة فقد أمكنه أن يحمى الكتاب المقدس بأن أعطى الجنود كتابات مانية لأنهم لم يعرفوا الفرق بين الاثنين والبعض فضلوا الموت على أن يكشفوا عن المكان الذى خبأوا فيه الكتب المقدسة • وقد كتب جماعة من "آباء الاعتراف" من سجنهم يدينون أحد رجال الدين الخائنين الذى رضى أن يسلم الكتاب المقدس للسلطات ، مع أنهم سجنوا لرفضهم تسليمه • وقالوا فى ادانتهم له اذا كان تغيير حرف من الكتاب المقدس يعتبر ذنبا كبيرا فكم بالأحرى تسليم الكتاب المقدس كله للحكام الوثنيين ليبيدوه • انه أمر يستحق الهلاك الأبدى •

٤ - الموجة الثانية من الاضطهاد

الاضطهاد المنظم الذى شنه مكسيميانوس :

أصبح مكسيميانوس ، ابن أخ جاليريوس ، امبراطورا فى الشرق سنة ٣٠٦ م وقد اتبع طريقة منتظمة فى اخضاع المسيحيين ومحاولة احياء الديانة الوثنية القديمة • فبنيت المعابد من جديد وزرعت الأشجار المقدسة مرة أخرى • وسادت الدعوة لتوحيد صفوف الوثنيين مع محاولة ارجاع المسيحيين الى ديانة أجدادهم الوثنية • وفى سبيل ذلك لم يتورع مكسيميانوس أن يستخدم القوة • ولقد عمل قوائم حصر للمواطنين وأمر الجميع بتقديم الذبائح للأوثان • ومن يرفض كان يتعرض للعذاب الشديد ففى قيصرية حاول أحد الشبان المسيحيين المتحمسين أن يمنع الحاكم من تقديم الذبيحة فعذب وقتل • ومسيحى آخر سيق الى الموت بأن ربطوه بسيور من الجلد مع كلب وحية سامة وألقى بهم فى البحر • وفى السنة التالية كان مكسيميانوس يشوه أجسام المسيحيين ويرسلهم الى المناجم والمهاجر ليعملوا فى الأعمال الشاقة •

شهادة يوسابيوس عن الاضطهاد فى مصر :

استمر الاضطهاد طيلة السنوات الست التالية بشدة ووحشية فى كل مكان وبخاصة فى فلسطين ومصر ، فكتب يوسابيوس ، الذى شاهد حوادث الاضطهاد

بنفسه : " أى كلام يمكنه أن يصف شجاعتهم وبسالتهم فى مواجهة ذلك العذاب ، فقد سمح ، لكل من أراد ، أن يشتمهم وأن يضربهم بالعصى والجلدات أو الهراوات أو السوط • وقد علق بعض المسيحيين على المشانق وأيديهم مقيدة وراء ظهورهم ثم سحبت أطرافهم بواسطة آلات خاصة وبينما هم على هذه الحال يبدأ المعذبون بضربهم على أجسادهم وعلى جنوبهم ••• بل وعلى بطونهم وسيقانهم ووجوههم •• ولقد علق بعضهم بيد واحدة ••• " (H. E. VIII, 10, 4-5 .X) •

شهداء مصر :

يتفق المؤرخون على أن مصر عانت أكثر من أى مكان آخر فى العالم وخسرت أكبر عدد من الشهداء الذين قاسوا أعنف الاضطهاد فى أيام دقلديانوس • وقد كتب كاهن من قرطاجنة يقول : " اذا وضع كل شهداء العالم فى كفة ووضع شهداء مصر وحدهم فى الكفة الأخرى فانهم يزيدون عن الآخرين جميعا " ولأجل ذلك بدأ التقويم القبطى من سنة ٢٨٤ م وهو التاريخ الذى تولى فيه دقلديانوس السلطة وسمى عصره " بعصر الشهداء " • وفى السنكسار القبطى (وهو مجموعة من تواريخ الشهداء والقديسين الأقباط) نجد أسماء ١٨٤ شهيدا تذكروهم الكنيسة فى أيام اضطهاد دقلديانوس • ومن أهم الشهداء الذين تذكروهم الكنيسة وتحبهم القديسة دميانة وهى ابنة حاكم الدلتا وقد أسست ديرا للراهبات • ولكنها استشهدت هى وأربعون شهيدة أخرى من رفيقاتها • وهناك شهيدة أخرى هى القديسة كاترين من الاسكندرية التى استشهدت سنة ٣٠٧ م وهى فى سن الثامنة عشرة • وقد نقلت رفاتنا الى سيناء حيث أقيم دير للروم الأرثوذكس يسمى دير سانت كاترين • وهناك الشهيد مارجرجس القائد الرومانى وهو قديس يحظى بتكريم الكنيسة القبطية وقد استشهد فى عصر دقلديانوس • وبالقرب من النجيزة توجد كنيسة تسمى كنيسة " الخمسة ووالدتهم " على اسم خمسة أبناء وأمهم ماتوا من أجل إيمانهم فى عصر الاضطهاد • يعتبر هؤلاء عينة قليلة من الذين تذكروهم الكنيسة القبطية وتجلهم (كتاب عزيز عطية سوربال ص ٣١ ، ٣٢ ، وكتاب ايريس حبيب المصرى ص ٧٣ - ٩٣) •

شجاعة الشهداء تزداد :

ولكن رغم العذاب الشديد الذى وقع على الشهداء ، كانوا يزدادون شجاعة يوما بعد يوم • بل كان يلوح أنه كلما كان عذابهم يزداد كانوا يزدادون ترحيبا به • ويعبر يوسابيوس عن اعجابه بهم فيقول : " ونحن أنفسنا قد شاهدنا بعيوننا •• كثيرين جدا قبض عليهم فى يوم واحد فبعضهم قطعت رؤوسهم ، وآخرون أحرقوا ••• حتى كلت بلطة الجلاد وتكسرت •• والجلادون أنفسهم أعيوا من كثرة العمل •• وهنا رأينا الشهداء وعلى وجوههم أعظم فرح وترحيب دليلا على قوة وغيرة سماويتين فى الذين وضعوا ايمانهم فى مسيح الله • وحالما كان الحكم بالموت يصدر على واحد منهم ، كان كثيرون يقفزون الى أمام منصة القضاء ويعترفون بايمانهم المسيحى غير عابئين بالتهديد والعذاب ••• بل كانوا يتكلمون بشجاعة عن خوفهم لله اله الكون ثم بفرح وضحك يستقبلون الحكم بالاعدام وهكذا ••• ويرفعون الشكر والترانيم لاله الكون الى آخر نسمة فى حياتهم " (H. E. VIII, 9:45) •

تزايد التعاطف مع المسيحيين :

كان مكسيميان قلقا وكان يغالى فى اضطهاده للمسيحيين تنوعا وقسوة حتى انه استعمل الخداع • فكان يأمر برش دم الذبائح على الطعام الذى يباع فى الأسواق حتى يمكن أن يقال ان المسيحيين " قدموا الذبائح " ولكن المؤرخين يقررون أن الشعور العام بدأ يتحول الى الناحية الأخرى فقد رأى الشعب أن العقاب كان قاسيا • وقد عبر أثناسيوس عن ذلك بقوله : " يعطف عدد كبير من الوثنيين الآن على المسيحيين " (Historia arianorum) فكان من الواضح أن الاضطهادات لم تحقق الغاية المرجوة منها ، وأخذت الوثنية فى الاضمحلال بينما نمت الكنيسة المسيحية وقويت •

مرض الامبراطور جاليريوس :

فى ربيع عام ٣١١ م أصيب جاليريوس الامبراطور الغربى بمرض عضال • وقد فكر طويلا فى أسباب مرضه (ويقول أحد المؤرخين القدامى ان أحد الأطباء أخبره أن مرضه من الله) وبدأ يتساءل عما اذا كان مرضه هذا هو انتقام من اله المسيحيين • ولذلك أصدر جاليريوس المرسوم التالى فى أبريل عام ٣١١ م •

سماحة جاليريوس الدينية :

من بين الخطوات التي نتخذها دائما لخير الدولة وتقدمها ، حاولنا أن نسير كل الأمور بحسب الشرائع القديمة والنظم الرومانية العامة وكنا نرجو أن المسيحيين الذين تركوا أسلوب الحياة السابق لأجدادهم ، يرجعون الى الصواب لكن الذين يدعون مسيحيين ، قد بلغ بهم العناد حد أنهم بدلا من أن يسيروا فى شرائع ونظم القدماء ... صنعوا بارادتهم وحسب مسرتهم قوانين خاصة بهم . وكانوا يجتمعون معا فى أماكن عديدة مع أناس من جنسيات متعددة . ولكن بعد أن أمرنا بأن يرجعوا الى حياة أجدادهم تعرض الكثيرون منهم للخطر وكثيرون تعرضوا للهلاك . ولما تمسك الأكثرون منهم بديانتهم الى النهاية ورفضوا أن يقدموا العبادة للآلهة متكئين فى ذلك على رحمتنا ورغبتنا أن نمح التسامح لكل الناس ... لذلك وجدنا أنه من الأصح أن نمد لهم حبل التسامح لى يصبحوا أحرارا فى بناء كنائسهم وفى معيشتهم كمسيحيين على شرط ألا يفعلوا شيئا ضد النظام العام ، وانسجاما مع تسامحنا هذا ، يجب عليهم أن يطلبوا من الههم من أجل سلامتنا ومن أجل خير الدولة ، وذلك لى يعيشوا هم أيضا فى بيوتهم وهم مطمئنون "

(Cambridge Ancient History, Vol. XII, p. 672.)

هبوط حدة الاضطهاد :

مات جاليريوس بعد اعلان المرسوم بخمسة أيام ، ولكنه ظل مع ذلك سارى المفعول . لقد صدر باسم جاليريوس وقسطنطين وليسينيوس ومكسيميانوس ولهذا فقد خضعت له كل الامبراطورية وهبطت حدة الاضطهاد ولكنه لم ينته تماما لأن مكسيميانوس بذل كل جهده لاهياء العبادة الوثنية واضطهاد المسيحيين .

التدابير النهائية لليائسة :

كان هناك نوع من اليأس فى المعركة الأخيرة ضد الكنيسة . ومن هذه المحاولات لليائسة دفع الحكام للعاهرات ليشهدن بأنهن شاهدن أفعالا شائنة فى الكنائس ونظمت المظاهرات فى أماكن مختلفة فى وقت واحد ضد المسيحيين . وطلب من أطفال المدارس أن يقرأوا كتابا اسمه " أعمال

ببلاطس " وهو كتاب مملوء بالتجديف على يسوع وقد ركزت السلطات مرة أخرى أنظارها على فلسطين ومصر فقتل " بطرس " بطريك الاسكندرية فى نوفمبر عام ٣١١ م ومعه كثيرون من الأساقفة المصريين . ولأنه كان آخر بطريك يقتل فقد أطلقوا عليه لقب " خاتم الشهداء " .

المراحل العشر للاضطهاد :

يذكر التقليد القبطى أن هناك مراحل رئيسية من الاضطهادات مرت بها

الكنيسة :

- ١ - نيرون ٥٤ - ٦٨ م .
 - ٢ - دومتيان ٨١ - ٩٦ م .
 - ٣ - تراجان ، هادريان ٩٨ - ١١٧ م .
 - ٤ - مرقس ، أوريليوس ١٨٠ م .
 - ٥ - سبتيموس سيفيروس ١٩٣ - ٢١٠ م .
 - ٦ - مكسيميانوس ٢٣٥ - ٢٣٨ م .
 - ٧ - ديسيوس ٢٤٩ - ٢٥١ م .
 - ٨ - فاليريان ٢٥٣ - ٢٦٠ م .
 - ٩ - أورليان ٢٧٠ - ٢٧٥ م .
 - ١٠ - دقلديانوس ٢٨٤ - ٣٠٥ م .
- أخذت هذه القائمة من كتاب "كنيسة الآباء " تأليف فؤاد بهنام وابراهيم مطر . وهناك قوائم أخرى بها بعض الاختلافات البسيطة .

ج - فلسطين ونهاية الاضطهاد

انتصارات قسطنطين :

كانت هناك أحداث سياسية فى أماكن أخرى من الامبراطورية بدأت تظهر آثارها . فقد بدأ قسطنطين الذى بايعه جنوده قيصرًا بعد موت أبيه قسطنطينوس فبدأ يقوى مركزه سياسيا وعسكريا . فقد أحرز الكثير من

الانتصارات ضد القوطيين في أوروبا (القوطيون هم قبائل جرمانية هددت الامبراطورية من الشمال) . بعد ذلك ضم جيوشه الى جيوش ليسينيوس ليحارب ماكسينوس (وهو الامبراطور الباقي في الغرب) وهزمه في موقعة قنطرة ميلفيان شمال روما في أكتوبر عام ٣١٢ م .

موقعة قنطرة ميلفيان نقطة تحول :

ذكر يوسابيوس - بعد بضع سنوات - قصة الأحداث التي أدت الى هذا الانتصار وذكر أنه سمع القصة من قسطنطين نفسه . فقد كانت نصرته في هذه الموقعة نقطة فاصلة في تاريخ الكنيسة المسيحية .

ظهور المسيح لقسطنطين كما يرويهِ يوسابيوس :

عندما كان قسطنطين يقترب من جهة الشمال بعد أن نجح في السيطرة على تورينو " و " ميلان " و " فيرونا " يقال ان الأسقف هوسيوس أسقف قرطبة بأسبانيا كان يرافقه ، مما يدل على أن قسطنطين كان يتعاطف فعلا مع المسيحيين الى حد ما . ويذكر يوسابيوس في كتابه " حياة قسطنطين " أن الامبراطور صلى الى الله لأجل الارشاد فأجابه الرب بعلامة الصليب المضيء الذي كان يلمع فوق الشمس الغاربة وقد كتب عليه " EN TO YTO NIKA " أى " بهذه العلامة تغلب . ولم يكن قسطنطين وحده هو الذي بل رآه معه كل الجيش . وفي ذات الليلة ظهر المسيح لقسطنطين ومعه صليب النور هذا في يده ، وطلب منه أن يرسم الحرفين اللذين يبدأ بهما اسم المسيح في اللغة اليونانية على خوذة ودرع كل جندي في الجيش وهكذا كتب الحرفان هكذا وهو الشكل الذي يسمى " Labarum " والذي صار شعارا على راية قسطنطين في الحرب .

قسطنطين يكسب المعركة :

في اليوم التالي عندما تقدم ماكسينيتوس بجيوشه لمعركة قنطرة ملفيان السالفة الذكر ، رأى قسطنطين سربا من " البوم " واقفا على سور المدينة فرأى فيه فألا حسنا لنفسه وسيئا لماكسينيتوس ولذلك هاجم بجيوشه . وفي أثناء

المعركة سقط ماكسينتوس من فوق القنطرة وغرق ، فانتهت المعركة وانتصر قسطنطين الذى عزا ذلك - حسب رواية يوسابيوس - الى الهه المسيحيين •

ليسينيوس يهزم مكسيميانوس :

ولقد فاز قسطنطين فى معارك أخرى بينما كان ليسينيوس يهزم مكسيميانوس ويطارده فى الشرق ويذكر " لاکتانتیوس " (Lactantius) المورخ الرومانى المسيحى أن ملاكا ظهر لليسينيوس قبيل المعركة الحاسمة ، تماما مثلما حدث لقسطنطين •

مرسوم ميلان :

لقد أوقف قسطنطين الاضطهاد ، أما ليسينيوس فهو الذى كتب مرسوم ميلان بالتسامح الدينى الذى وافق عليه كلاهما فى ١٣ يونيو ٣١٣ م • " وهكذا عندما تقابلنا معا أنا قسطنطين أغسطس ، وليسينيوس أغسطس ، فى ميلان وتدارسنا كل هذه الأمور ... • • • اقتنعنا بأنه يجب أولا وقبل كل شيء أن تلك القواعد التى وضعت لإحترام الآلهة ، يجب أن تنظم بكيفية تعطى للمسيحيين ولكل الناس الحق فى أن يعتنقوا أى دين يرغبونه • نعم لقد انتهينا الى هذه النتيجة : وهى أن نتبنى هذه السياسة التى تحتم أن نعطى كل فرد حريته فى أن يعتنق المسيحية أو أى ديانة أخرى • ومن الآن نريد أن يعلم أن ارادتنا تقتضى إلغاء كل القوانين التى تضمنتها خطاباتنا السابقة بخصوص المسيحيين نعم يجب أن تلغى ومن الآن يمكن لمن يرغبون فى اعتناق الديانة السالفة الذكر - المسيحية - أن يبادروا الى ذلك بكل حرية وبدون موانع أو عقبات أو تدخل أو مضايقات " (Cambridge Ancient History, Vol. XII, pp. 689 - 690) ثم أردفا ذلك بقرار بارجاع كل الممتلكات التى صادروها من المسيحيين اليهم وتعويض كل من اشتراها من خزانة الدولة : " حتى تنجح العناية الالهية كل أعمالنا ويتحقق الصالح العام " •

لماذا فشل الاضطهاد :

يلخص فرند هذه الفترة الفظيعة التى انتهت بانتصار المسيحية بقوله :
" لقد فشل الاضطهاد كسياسة • فقد شبع العالم الوثنى من الدماء ومن عدد

محلات الجزارين فى خدمة الآلهة ، ومن أعداد المقتولين من الصالحين المثقفين الشجعان • وكلما ازداد الاضطهاد ازداد عدد الذين يقبلون المسيح أيضا ، بل أن الاضطهاد رفع من نسبة المهتدين الى المسيحية • وكان كما قال لاكتانتىوس كان الاضطهاد هو الوسيلة التى بها جذبت العناية الالهية الوثنيين لعبادته لأنهم كانوا يريدون أن يعرفوا أكثر عن الايمان الذى يدافع عنه معتنقوه ويدفعون حياتهم ثمنا لذلك ، وعندما كانوا يعرفونه كانوا يقبلونه • وأخيرا اتضح أن الرسالة المسيحية كانت تحتوى على الكثير بل على كل ما كان الوثنيون يبحثون عنه •• فلم تعد بعد ذلك ديانة غريبة " (392) •

Frend, Martyrdom & Persecution in The Early Church , pp.)

عصر جديد للمسيحيين :

يصف يوسابيوس شعور المسيحيين عندما تنفسوا عبير الحرية بالقول : لقد انتهى الاحساس بالخوف من ظالمهم السابقين وجعلوا من أيامهم أعيادا متتالية وأضيئت كل الأماكن ، وبدأوا يحيون بعضهم بعضا بوجوه ضاحكة وعيون مبتسمة وكانوا من قبل لا يستطيعون أن يرفعوا وجوههم عن الأرض ، كانوا يرقصون ويرنمون فى المدن والقرى مجدين الله الهنا المتسلط • لقد نسوا متاعبهم القديمة ، والدعوة لترك ديانتهم ذهبت الى غير رجعة • كانوا يتمتعون بالأمور الطيبة التى فى أيديهم وينتظرون بشغف الخيرات المقبلة " • (H E X:9)

Recommended English Reading

1. Boer, H.R.- *A Short History of the Early Church*, pp. 96 - 106
2. Bruce, F.F. - *The Spreading Flame*, pp. 184 - 187.
3. Chadwick, Henry-*The Early Church*, pp. 121 -124.
4. Danielou, J. and Marrou, H. -*The Christian Centuries*, Vol. I.
The First Six Hundred Years, pp. 231 - 236.
5. Frend, W. H. C. *The Early Church*, pp. 128 -138. *Martyrdom
& Persecution in the Early Church*, pp. 351 - 392.
6. Lietzmann, Hans - *A History of the Early Church*, Vol. III,
pp. 57 - 81.

(ط) الحركات الانفصالية فى شمال أفريقيا ومصر

ولكن لم تكن نتائج المرسوم الامبراطورى ايجابية • فقد بدأ السؤال القديم يظهر على السطح حتى قبل المرسوم نفسه ، وذلك بمجرد أن كف الاضطهاد وهو " كيف تتعامل الكنيسة مع أولئك الخائنين للايمان والذين أنكروه بطريقة أو بأخرى ؟ " ولقد انقسمت الكنيسة بسبب الخلاف على اجابة هذا السؤال حتى ان الامبراطور نفسه تدخل فى هذا الشأن • وكان من أهم الفئات التى ظهرت هم " الدوناتيون " (Donatists) فى شمال أفريقيا ثم " الميليتيون " (Meletians) فى مصر • وقد تأسست كنيسة الدوناتيين المستقلة فى شمال أفريقيا واستمرت الى القرن الثامن أما " الميليتيون " الذين أطلقوا على أنفسهم لقب " كنيسة الشهداء " فقد اشتركوا فى المنازعات الأريوسية • أما الكنيسة العامة فكانت تنظر الى هؤلاء على أنهم انفصاليون وليسوا هرطقة • والانفصالى هو الشخص الذى ينفصل عن الكنيسة لسبب غير لاهوتى ، فى حين أن الهرطاق هو الشخص الذى ينفصل عن الكنيسة (أو يطرد منها) بسبب اختلاف فى التفسير الكتابى أو العقيدة اللاهوتية •

الدوناتيون

تسليم الكتب المقدسة :

نشأت مشكلة الدوناتيين نتيجة للخلافات على رئاسة الكنيسة فى شمال أفريقيا بعد انتهاء الاضطهادات • ولقد كانت المشكلة التى انقسموا حولها هى الموقف من أولئك الذين سلموا الكتب المقدسة للسلطات الرومانية ★ وكان من

★ كان الاستيلاء على الكتب المقدسة هو احدى الوسائل التى استخدمها الأباطرة فى اضطهاد الكنيسة (وكانت الكتب تنسخ باليد ولذلك كانت نادرة ، وكانت تحفظ بعناية بالغة فى الكنائس) وكان الجنود يذهبون الى الكنائس ويطلبون من الكهنة تسليم كل نسخ الكتاب المقدس ، فاذا رفضوا هذا الطلب قبضوا عليهم وعذبوهم عذابا بالغا وكثيرا ما كانوا يعدمونهم •

رأى المحافظين أن الأساقفة الذين فعلوا ذلك قد سقطوا من النعمة وليسوا بمستحقين أن يقوموا بالخدمة الكهنوتية • أما الجناح الليبرالي فلم يتوقف عند حد اظهار الرحمة لهؤلاء الذين اضطهدوا بل تعدى ذلك الى القول بأن فعالية أسرار الكنيسة لا تتوقف على قداسة الذين يقومون بها •

نوميديا تعارض قرطاجنة :

كان المسيحيون في بلدة سرتة (Cirta) في مقاطعة نوميديا جنوب غرب قرطاجنة يشتهرون بالتعصب واتخذوا موقفا متطرفا ضد مسيحي قرطاجنة المعتدلين الذين يهتمون بالكنيسة الجامعة • وقد اعتبروا أن كل من سلم الكتب المقدسة الى الرومانيين في أثناء الاضطهاد ، هو انسان خائن ، ثم أخذوا على أنفسهم أن يعزلوا كل الأساقفة الذين تحوم حولهم الشبهات في هذا الأمر ، ثم أصروا على اعادة معموديتهم من جديد قبل أن تقبلهم الكنيسة مرة أخرى • فلما انتخب شعب قرطاجنة " كاسليان " (Caecilian) عارض النوميديون ذلك • لأن واحدا من الأساقفة الذين اشتركوا في سيامته كان " خائنا " • وجاء سبعون من نوميديا واختاروا أسقفا بمعرفتهم لتلك المدينة •

قسطنطين يتدخل :

كان الامبراطور قسطنطين يعرف بأمر المشاكل في شمال أفريقيا • وقد حفظ لنا يوسابيوس خطابا موجها من الامبراطور الى الحاكم الأعلى في شمال أفريقيا ، يقول له فيه انه سمع عن المحاولات التي يقوم بها " أناس غير مسئولين ليفسدوا جماعات الكنيسة المقدسة الجامعة بادعاءات كاذبة الى القضاء " (H. E. X: 5; 13-17; X:6) وكان شمال أفريقيا بالغ الأهمية للامبراطورية سياسيا واقتصاديا فاذا انقسمت الكنائس على نفسها فان هذا سيكون له تأثيره السيء على روما نفسها •

مساندة قسطنطين لكاسليان :

عرف الامبراطور أن تفكك الكنيسة يؤدي الى تفكك الامبراطورية ، لذلك أدرك أهمية دوره في هذه الخلافات • والى جانب ذلك كان يؤمن بأن الجماعة الكاثوليكية في قرطاجنة هي الممثل الرسمي للكنيسة ، ولذلك فقد

أُرسل لها نصيبها من المخصصات وأعفاها من الضرائب • ولذلك فعندما نظرت القضية أمام ثلاث محاكم متعاقبة ، كان الامبراطور واحدا من الحاضرين في آخرها ضد القرار لصالح كاسليان وضد النوميديين •

قيادة دوناتس (Donatus) :

في تلك الفترة انتقلت مقاليد النوميديين الانفصاليين الى دوناتس أسقف قرطاجنة (٣١٣ - ٣٥٥ م) فأطلق اسمه على هذه الحركة • كان دوناتس قائدا عظيما برز في الكتابة والخطابة والاصلاح وكان قادرا على السيطرة تماما على أتباعه لدرجة جعلت أغسطينوس يقول : اذا أكرم الناس المسيح بشفاهم ، فان الدوناتيين يكرمون دوناتس بقلوبهم (Contra Epistolam Parmeniane, II, 2:5.) وكما يقول فرند (Frend) : ان دوناتس جمع في شخصه موهبة النبوة مع سلطة الأسقف تماما كما كان سلفه سيبريان • كان أحكم من دانيال وتصرف كمن له سلطان رئيس الكهنة اليهودي قديما ، فكان يقوم بخدمة القداس وحده منعزلا حتى عن زملائه الكهنة كما كان يفعل رئيس الكهنة قديما مرة واحدة في السنة في أورشليم (The Early Church, p. 142.) ولقد بقي دوناتس رئيسا في كنيسته لمدة ٤٣ سنة •

محاولة المعتدلين حل القضية :

ولقد كان من محاسن الامبراطور أنه أصغى الى ما كان يقوله الدوناتيون ، فقد أبقاهم هم والكاسليانيين في ايطاليا لمدة طويلة وسمع من الجانبين رأيهم في هذه المشكلة ، ولكنه مع ذلك كان قلقا على مشاعر العداوة التي كان يتبادلها الجانبان ... حتى ان أولئك الذين كان من المفروض أن يكونوا بفكر واحد في المحبة الأخوية ، انفصلوا وتنابدوا بكيفية مشينة وأعطوا فرصة للغرباء عن هذه الديانة الفائقة القداسة ، أن يسخروا منهم (يوسابيوس 22: 21 H. E. X) حتى رؤساء الكهنة من فرنسا وايطاليا وبريطانيا الذين دعوا للفصل في القضية ، قد أصابهم القلق الشديد لهذا الانقسام الفظيع • وقد وقعوا مرات كثيرة الى جانب الكاسليانيين المعتدلين •

رفع القضية الى قسطنطين :

وأخيرا رفع الدوناتيون شكاوهم الى الامبراطور مباشرة ، ولكنه في ذلك الوقت كان صبره قد نفذ وما عاد يحتمل هؤلاء المتطرفين • والأهم من ذلك ،

أنه بدل دوره من مجرد رئيس يدعو المجامع الكنسية للالتئام الى حاكم أعلى يريد أن يضع الدوناتيين فى موضعهم الصحيح • وحالما صدر قرار الامبراطور ضدهم ورفضت التماساتهم ، أظهروا هم بدورهم روحهم الثورية المتطرفة • ولذلك أعلن قسطنطين بنفسه : " بنعمة الله سأحضر الى أفريقيا وبكل قوة وثبات سأعلن ... كيف يجب أن يعبد الاله الأعظم ... فماذا يمكن أن يعمل وأنا فى مركز الأمير غير أن أمحو الخطأ وأسحق الأفكار المتطرفة وأن أدفع الناس جميعا الى أن يتفقوا على اتباع الديانة الحقيقية والحياة البسيطة وأن يعبدوا باتضاع الاله العلى الذى له وحده العبادة (من خطاب الى دوميتيوس سلسوس) •

قرار الامبراطور :

كان من الواضح اذا أن قسطنطين أعطى لنفسه الحق فى أن يتصرف كرئيس للكنيسة وكما كان امبراطورا فى العالم الوثنى ، ادعى لنفسه السيادة الدينية • فلا أقل من أن يكون كذلك فى الكنيسة • فقد حل المسيح محل جوبتر فى السيادة الالهية والامبراطورية تسير وتتقدم تحت عنايته وقسطنطين هو ممثله فى الأرض ، وهكذا يجب أن يطيع الكهنة أوامره • ولقد فعل ذات الأمر مع أثناسيوس بعد بضع سنوات فى مجمع نيقية •

الدوناتيون لايفنيهم الاضطهاد :

لم يذهب قسطنطين الى أفريقيا كما قال ولكنه استمر يناصر كاسيليان ضد الدوناتيين وبذلك ازدادت حدة النزاع لأن المتطرفين ازدادوا عددا ونفوذاً فأضطر قسطنطين لأن يتخذ اجراءات أقسى وأشد ضدهم • فأمر بمصادرة ممتلكات كنائس الدوناتيين ونفى قادتهم ، واستخدم فى ذلك الجيش الرومانى لتنفيذ الأوامر ولكن لم تحل المشكلة بهذا المجهود بل على العكس صارت الأمور الى الأسوأ • والأوامر الامبراطورية لم تطع ، وبدأت تضعف شعبية كاسيليان ونفوذه وانضم الكثيرون من أتباعه الى الدوناتيين • ولأول مرة ارتفع صوت الاحتجاج " للامبراطور والكنيسة ؟ " وبالرغم من الاضطهاد الذى وقع على الدوناتيين فانهم لم ينهزموا ولم تضعف روحهم المعنوية بل على العكس فقد أقرت الحكومة بالهزيمة ومنحت الحرية للدوناتيين عام ٣٢١ م •

الدوناتيون مصلحون سياسيون ودينيون :

يمكن أن نشبه الدوناتيين بالغيورين فى اليهود أو البيوريتان فى حركة الإصلاح . فقد وقفوا موقف المونتانيين (ويعتبرون أيضا انفصاليين - انظر جزء I ، القرن الثانى II ، هـ) فى محاولتهم اصلاح الكنيسة بأى ثمن حتى على حساب وحدتها بل وتجسدت فيهم روح العداوة للامبرالية التى كانت تملأ جوانح العمال الذين وقعوا تحت ظلم السادة الرومانيين لسنين طويلة . فتكونت فيهم عصابات مسلحة (Circumcellions) تجوب البلاد تسحق الذين شكوا فيهم أنهم كاثوليك وتلقى الرعب فى قلوب الملاك الكبار وتسرق من الأغنياء لتعطى الفقراء . ويذكر التاريخ قصة عصابة من هذه العصابات أوقفت عربة فخمة بداخلها أحد النبلاء يجرى أمامه عبد من عبيده فأنزلت السيد من العربة وأجلست العبد مكانه ، وجعلت النبيل يجرى أمام الخيل . وفى الحقيقة كان كثيرون من أعضاء كنيسة الدوناتيين من العبيد ، وفى هذا يقول بول جونسون " كانت الدوناتية حركة الفقراء قادها كهنة بيوريتان (Puritans) (تاريخ المسيحية ص ٨٤) (Johnson,Paul- A History of) (Christianity, p. 84.)

الدوناتية تصبح الكنيسة الوحيدة فى شمال أفريقيا :

ليس من السهل فصل الدين عن السياسة فى حركة الدوناتيين . فهذه الجماعة الانفصالية اعتبرت نفسها كنيسة من القديسين الذين لا يتسامحون فى الحق المقدس حتى مع الامبراطور الذى اضطهدهم ولا مع الكنيسة الكاثوليكية † التى تتكون فى نظرهم ، من جماعات خائنة وبفضل شجاعتهم وتضحياتهم بالحياة وعدم خضوعهم للقانون وقيادة دوناتوس نفسه ، أصبحوا الكنيسة الوحيدة فى شمال أفريقيا بل واستمروا هكذا حتى القرن الخامس الميلادى مع أنهم وقعوا تحت اضطهاد الأباطرة ولكن لما جاء الفتح الاسلامى اختفت هذه الكنيسة نهائيا .

ويلاحظ أيضا أن الصراع الذى نشب فى شمال أفريقيا قد أظهر التشابه بل التطابق بين أهداف الكنيسة والامبراطورية . فقد كان قصد الكنيسة

† كلمة " كاثوليكية " تستخدم هنا للدلالة على الكنيسة الرومانية الغربية ، وبذلك فهى لاتدل هنا على الكنيسة الجامعة الشاملة كما فى قانون الايمان .

الكاثوليكية أن تكون جامعة بالمعنى الحرفى فتوحد حصاره الشعوب ولغتهم وترتفع فوق الأمم والأجناس . هذه الأهداف البعيدة للكنيسة التى كانت تساندها أهداف الامبراطور نفسه ، لم تكن لتقبل تلك الحركات المتمردة المتطرفة التى تريد أن تستقل فيها مثل حركة الدوناتيين وهكذا تعاملت بقسوة مع الدوناتيين ، وفى هذه المعاملة تبنت كثيرا من العناصر السياسية التى أدت بعد ذلك بقرون الى وحدة الكنيسة كما نعرفها ، فى القرون الوسطى .

Recommended English Readings

1. Boer, Harry R.~ *A Short History of The Early Church*, pp. 137-138.
2. Bruce, F. F.~ *The Spreading Flame*, pp. 296-297.
3. Danielou, J. and Marrou, H. *The Christian Centuries*, Vol. I. *The First Six Hundred Years*, pp. 243-248.
4. Frend, W. H. C.~ *The Early Church*, pp. 139-146.
5. Johnson, Paul -*A History of Christianity*, pp. 82-85.
6. Lietzman, Hans:-*A History of The Early Church*, Vol. III, pp. 82-93

الميليتيون فى مصر

سار انفصال الميليتيين فى مصر على نفس المنوال الذى سار فيه انفصال الدوناتيين فى شمال أفريقيا ، اذ بدأ باعتراض ميليتس على سياسة بطرس أسقف الاسكندرية لأنه تساهل مع الذين استسلموا تحت وطأة الاضطهاد .

بطرس وميليتس لا يتفقان :

يقول أبيفانيوس (3 : 68 Panarion) ان الخلاف نشب بين الأسقف بطرس والأسقف ميليتس أسقف ليكوبوليس (أسيوط حاليا) عندما كانا مسجونين معا ابان الاضطهاد الأخير فى أيام دقلديانوس فقد كان رأى الأسقف بطرس أن تقف الكنيسة موقفا متسامحا مع المرتدين ، ولكن ميليتس عارضه فى ذلك وطالب معاملتهم بقسوة وساندته مجموعة من الكهنة والرهبان ممن كانوا فى السجن معهما . وقد اشتد الصراع بدرجة خطيرة حتى كف الجانبان عن مخاطبة بعضهما البعض ووضعوا ستارة تفصل بينهما فى السجن .

ميليتس يؤسس " كنيسة الشهداء " :

بعد عزل دقلديانوس أطلق سراح الأسقفين بطرس وميليتس . وحينئذ أرسل بطرس خطابا عاما يضع فيه شروط قبول المرتدين ، ولم تكن شروطا هينة ، ولكنها سمحت بارجاع الكهنة الى وظائفهم . وعندئذ عارض ميليتس هذا الاتجاه ورفض قبول أى مسيحى ارتد أثناء الاضطهاد . وأصر على منع الكهنة ورجال الدين من العودة الى وظائفهم . وفى السنوات اللاحقة بدأ ميليتس ينشئ " كنيسة الشهداء " فحرم الكهنة الذين ارتدوا وقت الاضطهاد ، واستبدلهم بغيرهم ممن وقفوا صامدين رغم العذاب الشديد . وبدأ من هنا — على ما يبدو — الصراع الشديد بين الكنيسة الوطنية " القبطية " والكنيسة الملكية وحينما استشهد الأسقف بطرس سنة ٣١١ م كانت كنيسة الصعيد تهدد بشدة كنيسة الاسكندرية فى الشمال .

أريوس (٢٥٦ – ٣٣٦ م) :

كان أريوس واحدا من معضدى ميليتس الأوائل وبعد قليل نادى بأفكار لاهوتية خاصة أدت الى انعقاد مجمع نيقية عام ٣٢٥ م . ولكن أريوس لم يمكث طويلا فى معسكر ميليتس ، بل اصطلح مع بطرس ولذلك اعتبرته جماعة ميليتس وكثيرون غيرهم ، شخصا هرطاقا (فى الكتاب التالى سندرس الأريوسية ونتائجها دراسة وافية) .

الكنيسة الميليتية تنمو وتموت :

ازدهرت الكنيسة الميليتية لأنها وجدت معونة كبرى من الذين أطلق سراحهم من السجون والمناجم عندما توقف الاضطهاد . لقد صمدوا فى وجه الاضطهاد معلنين عن ايمانهم ، ومع أن الأسقف بطرس حرم الأسقف ميليتس إلا أن " كنيسة الشهداء " نمت حتى قيل انه ما جاءت سنة ٣٢٥ م حتى كانت لها أسقفية فى مصر الوسطى والعليا ، ولكن حالما انتهى الاضطهاد بدأ الصراع العقائدى فى الكنيسة . أما فى مصر على وجه الخصوص فقد حلت حركة الرهبنة محل الاستشهاد . وقد عاشت كنيسة الميليتيين عددا من السنين ، ولكن تأثيرها كان قد ضعف .

Recommended English Readings

1. Frennd, W. H. C. *The Early Church*, p. 144.
Martyrdom and Persecution in The Early Church, pp. 396-398.
2. Lietzman, Hans -*A History of The Early Church*, Vol. III, pp. 103-107.

(ى) حركة الرهبنة

عندما دخلت الكنيسة فى العصر القسطنطينى وبدأت مرحلة التغيير الثورى ، كان قد بدأ تطور جديد فى الكنيسة نفسها •• هذا التطور هو الحركة الرهبانية التى بدأت فى مصر ثم انتشرت فى الكنيسة كلها • وكما هو معروف فان حركات الرهبنة تتميز بالتقشف والزهد وحرمان الجسد من كل وسائل الراحة واللذات حتى يمكن للنفس أن تتحرر وتصل الى السمو الروحى •

١- الزهد فى الديانات الأخرى :

لا يقتصر الزهد على المسيحية لأن كل ديانات الأرض تقريبا تمارسه بطريقة أو بأخرى • ومن أهم الأمثلة على ذلك من قبل المسيحية فى ممارسة الزهد هى البوذية ، ومؤسسها بوذا الهندى (القرن السادس قبل الميلاد) الذى كان يعيش حياة الرفاهية واللذات • ولم يستطع ضميره أن يتحمل رؤية المعاناة البشرية ، ولذلك أنهى علاقته الزوجية وترك الحياة الناعمة وبدأ يعيش حياة التنسك والتجوال • والبوذية تحتم على أتباعها أن يمارسوا الزهد حتى يصلوا الى " النرفانا " (Nirvana) (الوصول الى الوجود الذى لا يشعر فيه بالألم) • كما تعلن الهندوسية أن الانسان يجب أن يبتعد عن وسائل الراحة ويصوم ويعذب نفسه حتى يصل الى الكمال الروحى • وبالمثل فقد علم الفلاسفة اليونانيون من الرواقيين والكلبيين (أصحاب مذهب الشك) أن المثل الأعلى هو البساطة فى المأكل والملبس والسلوك •

٢ - الزهد فى مصر :

أما فى مصر فقد ظهرت أنواع أخرى من حياة الزهد قبل ظهور المسيحية ، ففي عصر البطالمة (٣٢٣ - ٤٤٤ ق م) ظهرت جماعة اسمها " كاتاشوى " (Katachoi) • كانت ترتبط بمعبد السيرابيوم فى منف هذه الجماعة تكونت من أفراد كانوا ينسحبون من العالم ويعيشون فى صوامع على

انفراد فترة من الزمن ثم يرجعون الى الحياة العادية .

وفى القرن الأول قبل الميلاد كرس جماعة من الكهنة الزاهدين فى هليوبوليس أنفسهم لحياة التأمل والصلاة . وفى نفس الوقت ظهرت فى طيبة (الأقصر) جماعة تسمى " جيمنو سوفست " (Gymnosophists) امتنعت عن أكل اللحوم ورغبات الجسد وعن الحسد .

ولقد وصلت الينا قصة مفصلة كتبها الفيلسوف الاسكندرى اليهودى الشهير فيلوجودياس (٢٠ ق م - ٥٠ م) عن حياة جماعة مصرية زاهدة اسمها " ثيرابيوتى " (Therapeutae) كانت تعيش فى مكان قريب من الاسكندرية ، مكونة من الرجال والنساء انهم لا يحيون قريبين من بعضهم البعض كما يعيش الناس فى المدن وكانوا يصلون مرتين يوميا فى الصباح والمساء أما الفترة الباقية من اليوم فكانوا يقضونها فى التأمل وممارسة الفضائل كما هو موضح لهم فى الكتب المقدسة والفلسفات التى اعتنقوها . وفى اليوم السابع كانوا يجتمعون معا وكأنهم فى حفل مقدس . وما كان واحد منهم يأكل طعاما أو يشرب قبل غروب الشمس لأنهم كانوا يعتقدون أن الاهتمام بالفلسفة يليق بالنور أما قضاء حاجات الجسد فلا تلائم الا الظلام " †) . (Philo Judaeus, A Treatise on a Contemplative Life, IV: 1-20 .

٣ - الزهد فى اليهودية :

أما اليهودية فلم تعلم بتاتا أن حياة الزهد هى الحياة المثلى غير أن هناك بعض الممارسات الزهدية التى كانت جزءا من الحياة اليهودية ، مثل الأحكام المختصة بالأطعمة . وفى سفر العدد (اصحاح ٦) نجد الأحكام المختصة بشريعة النذير مثل شمشون وصموئيل . وقد أصر دانيال وصحبه فى بلاط الملك نبوخذ نصر على أن يأكلوا طعاما بسيطا (دانيال ١ : ١١) وإلى جانب ذلك أظهرت الاكتشافات الحديثة لمخطوطات البحر الميت أن جماعة وادى قمران كانوا يعيشون فى زهد وتكشف شديدين عندما انسحبوا من اليهودية وذهبوا ليقيموا فى برية اليهودية . فكان الأسينيون مثالا للمجتمعات

† هذه المعلومات مقتبسة من كتاب Monks and Monasteries of the Egyptian Desert , Otto Meinardus pp. 7&8.

الزاهدة ، فقد امتنعوا عن الزواج لكي يحتفظوا بطهارتهم الطقسية (يوسيفوس
The Jewish Wars, II. 8: 2 13) ويقال ان يوحنا المعمدان ظهر وسط هذه
الجماعة •

٤ - رأى يسوع فى الزهد :

من قراءة العهد الجديد يظهر لنا أن الزهد لم يكن تعليماً أساسياً فى
المسيحية • وعلى العكس من يوحنا المعمدان ، جاء يسوع يأكل ويشرب فليل
عنه انه " أكل وشرب خمر " (متى ١١ : ١٩) • ولعله من المفيد فى ذلك
أن نلاحظ ما قاله يسوع لتلاميذه عندما قالوا انه حسن للمرء يتزوج ، اذ قال :
" ليس الجميع يقبلون هذا الكلام بل الذين أعطى لهم • لأنه يوجد خصيان
ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم • ويوجد خصيان خصاهم الناس • ويوجد
خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات من استطاع أن يقبل فليقبل "
(متى ١٩ : ١١ ، ١٢) ومعنى كلام يسوع هو أن عدم الزواج مفضل ولكنه
ليس ضروريا •

٥ - بولس والزهد :

يكتب الرسول بولس الى أهل كورنثوس عن موضوع الزواج فيقول ان
المتزوجين يمكنهم أن يمتنعوا عن الممارسات الزوجية بشرط أن يكونوا على
وفاق الى حين لكي يتفرغوا للصلاة (١ كورنثوس ٧) • بل انه يقول انه حسن
أن يكون كل الناس مثله (أى غير متزوجين) • ولكن هذا القول لم يعط كأمر
بل كنصيحة • • • ويلوح لبعض الناس أن حياة النسك - الى حد ما - كانت تميز
حياة كثيرين من الرسل ولكنها لم توضع كقانون واجب الطاعة • فقد كتب
الرسول بولس يقول : لأن كل خليفة الله جيدة ولايرفض شئ اذا أخذ مع
الشكر ، لأنه يقدس بكلمة الله والصلاة " (١ تيموثاوس ٤ : ٤) • ويقول أيضا
" كل شئ طاهر للطاهرين " (تيطس ١ : ١٥) •

٦ - الزهد مفضل ولكنه ليس امرا في العهد الجديد :

قد نتفق مع " كامبنهاوزن " (Campenhausen) فيما قاله في كتابه عن " الزهد في الكنيسة المسيحية الأولى " ص ٩٠ : ١١٢ كتابه (Tradition & Life in the Church , 1968) " من يسوع لبولس كان هناك رفض متزايد لكل أشكال الزهد . . . ولم يؤمر أو ينصح به كوسيلة للخلاص . وكان هذا هو الموقف الأساسى للكنيسة الأولى " ومع ذلك . . . فقد كانوا ينظرون اليه كطريقة محبة للحياة والشهادة . فالذين يحبون الله من كل قلوبهم يجب ألا ينشغلوا بهموم هذا العالم . ولذلك فهناك مكان لأولئك الذين يستطيعون أن يمتنعوا عن كل متع الحياة فيعيشون قريبين من الله . وهذا الأمر صالح للرجال والنساء على حد سواء . ولكم يشهد التاريخ لنساء عشن حياة الزهد وخدمن الله فى انكار الذات . وعبر كتاب تعاليم الرسل (Didache) عن ذلك بالقول : " اذا كنت تستطيع أن تحمل نير الرب كاملا ، فسوف تصل الى الكمال ولكن اذا لم تستطع فافعل مايمكنك أن تفعله " (٦ : ٢) .

٧ - الرهبانية المسيحية المبكرة :

فى أوائل تاريخ الكنيسة ظهر كثير من الأفراد والجماعات الذين يؤمنون بحياة التقشف والزهد وكما سبقت الإشارة الى أن أتباع ماركيون والمونتانيين لم يشربوا خمرا ولم يأكلوا لحما وامتنعوا عن الزواج ، كما أن جماعة المتطرفين (Circumcellions) والمحاربين المتجولين (فى شمال أفريقيا فى القرن الرابع) كانوا أيضا متقشفين . ويقول المؤرخون انه كان هناك أفراد يمشون عرايا ويأكلون الحشائش ويسكنون الكهوف ويفتخرون اذ يسميهم المجتمع (الحمقى) وقد ظهر ابان حكم أنطونيوس انسان اسمه " فروتنيوس " (Frontonius) قرر أن يرفض العالم وجر وراءه سبعين شخصا آخرين الى صحراء النطرون فى مصر ولقد لاحظنا فيما سبق نوع الحياة الزاهدة التى عاشها أوريجانوس اذ كان بنام على الأرض ويسير حافى القدمين ويلبس رداء واحدا فقط ولايشرب الخمر . . . وغير ذلك . وهذه أمثلة قليلة ممن كانت لهم ميول

تقشفية فى المسيحية ولكن التطور الواسع والعميق للرهبانية فى كل الكنيسة المسيحية لم يظهر الا فى القرنين الثالث والرابع عندما بدأ نشاط الرهبان المصريين •

٨ - أسباب الرهبانية اللاحقة

الضرائب الرومانية :

يذكر المؤرخون ثلاثة أمور كأسياب محتملة لازدهار الرهبانية فى القرن الرابع الميلادى وهى :
أن الدولة الرومانية وهى تقاسى من متاعبها الاقتصادية فرضت على الناس ضرائب باهظة لدرجة أن ترك الناس أراضيهم وأعمالهم وممتلكاتهم وهربوا الى الصحراء لأنهم عجزوا عن أن يدفعوا ما فرض عليهم • ومع أنهم لم يصبحوا جميعهم رهبانا الا أن ندرة فرص العمل فى الأماكن المأهولة بالسكان شجعت كثيرين على أن يجربوا حياة الرهبنة فى الصحراء وفى الجبال •

الاستشهاد الابيض :

أما السبب الثانى فكم فى انقطاع الاضطهاد ، ونمو الحاجة اللاشعورية عند كثيرين من المسيحيين الى نوع من الاستشهاد نظرا لما رأوه من تقدير واحترام لمن ماتوا شهداء ممن ظلوا أحياء بعد العذاب الذى قاسوه فقد " نبتت الرهبنة من رغبة المسيحي فى أن يكون شهيدا " (Frend W. H. C.)
The Early Church, p.202) وقد عرفت الرهبنة بأنها الشهادة الخضراء أو البيضاء التى حلت محل الشهادة الحمراء •

عدم الرضى عن الكنيسة :

وكان السبب الثالث الاحساس القوى فى قلوب بعض الناس بأن الكنيسة فقدت القداسة والتكريس وشعروا أن حياتهم الروحية لايمكنها أن تنمو الا بعيدا عن الأوساط الكنسية ، وماعليهم الا أن يتركوها ويذهبوا كأفراد الى الصحراء

ليحيوا فيها حياة القداسة • انهم لم يعلنوا انكارهم للكنيسة ولكنهم بعملهم هذا أدانوها • وكما قال " دوشيزن " (Duchesne) : " كان الراهب نقدا حيا للمجتمع الكنسى " (Early History of The Church I, P. 390) وعندما أخبر أنطونيوس الرهبان ، بأن الكتب المقدسة كافية للتعليم " (حياة أنطونيوس بقلم أثناسيوس ١٦) † كان بذلك يعلن أن الكنيسة كما يعرفها قد فشلت فى اشباع الحاجات الروحية ولم تكن الرهبانية هى اداة نهائية كاملة للكنيسة فقد كانت على الأقل حركة تصحيح لبعض الاتجاهات التى بدأت تظهر فيها فى القرن الرابع الميلادى • " لقد برهن أنطونيوس بانعزاله بالرهبة ، على أن الكنيسة القائمة — من وجهة نظره — لم تعد المكان الذى يعيش فيه شخص يريد أن يحيا حياة مسيحية حقيقية " (Frend, The Early Church, p. 263.) وبرهن أيضا على : " أن الكتاب المقدس والصلاة الانفرادية والصوم أصبح لها الأفضلية على الحياة العامة والصلاة الجماعية والقيادة الكنسية " •

الزاهد كشخص غريب :

ومع أن حياة الزهد لم تكن يوما ما مطلوبة من المسيحيين — كما سبق القول — الا أن هناك نوعا من الزهد استشفه الجميع فى حياة المسيح الذى صار " غريبا من أجلنا " وفى حياة الرسل الذين صاروا غرباء ونزلاء على الارض حتى يمكنهم أن يخدموا الانجيل بكل أمانة ، وعليه فلم تكن الرهبة مطلبا ولكن " اذا أمكن ذلك " فيكون أفضل • ولقد تولدت من فكرة " غربة الرسل ليكونوا أحرارا للخدمة ، فكرة أخرى وهى غربة الراهب الذى يذهب الى أرض غريبة ليعرفه أحد فيها • وفى صومعته الموحشة كان مستعدا لنوال البركة " •

الرياضة الروحية :

الى جانب الاحساس بالغربة جاءت فكرة أخرى تتلخص فى الطموح الى التغلب على النفس وانكار الرغبات الطبيعية للجسد فيصبح الراهب بطلا

† نحن نقتبس الآن من أوثق المصادر عن حياة أنطونيوس وهو كتاب عنوانه " كوكب البرية " كتبه أثناسيوس

رياضيا روحيا • وقد فعل الرهبان ذلك لاعتقادهم بأن الشيطان يهاجم الانسان من خلال ضعفات جسده ، فاذا أمكنه أن يتغلب على الجسد فانه يتمكن بذلك من هزيمة الشيطان وتحرير نفسه لتسمو روحيا •

الزهد الغنوسى :

يجب أن نفرق بين الزهد المسيحى والزهد الغنوسى ☆ الذى كان منتشرا فى مصر • فالغنوسية تؤمن بأن المادة شر ، وبناءً عليه فالجسم البشرى هو شر أيضا • ولذلك فقد حرّموا الجسد وأوقعوا به عقوبات قاسية كأنه عدو • وقد كتب شخص اسمه ساويرس (Seuerius) يقول : " ان الانسان هو صنعة الله جزئيا فقط أما ما بقى من جسمه (أى من الوسط فأسفل) فهو من صنع الشيطان " • أما انجيل المصريين (وهو من كتب الأبوكريفا التى لم تقبلها الكنيسة) فيذكر أن يسوع قال : " جئت لأبطل أعمال المرأة وسوف يأتى اليوم الذى يداس فيه الجسد ، رداء العار ، بالأقدام عندما لا يكون هناك ذكر وأنثى " أما الزاهد المسيحى فقد عامل جسده بقسوة بالترفع عن اللذات الجسدانية ومع ذلك فقد كان يعتبر أن الجسد مقدس وهو جزء من خليفة الله •

٩ - أنطونيوس أبو الرهبنة المصرية

بولس الطيبى (الأنبا بولا) الذى سبق أنطونيوس :

يعتبر أنطونيوس (٢٥١ - ٣٥٦ م) أبا الرهبان المتوحدين ولقد عرف تاريخ حياته عن طريق أثناسيوس الاسكندرى (٢٩٦ - ٣٧٣) الذى كتب قصة حياة هذا الرجل ثم ترجمت الى لغات عديدة • أما جيروم اللاتينى (٣٤٥ - ٤١٩ م) فيقول ان أنطونيوس لم يكن أول راهب متوحد بل سبقه بولس الطيبى الذى اختار الرهبنة حياة له فى أيام الاضطهاد الذى حدث فى عهد ديسيوس وقاليريان (٢٤٩ - ٢٥٩ م) • هذه القصة التى يذكرها جيروم تستحق أن نذكرها رغم أن كثيرين من العلماء يشكون فيها •

☆ انظر الجزء الاول • القرن الثانى الفصل ٢ ، ج

قصة جيروم عن بولس الطيبي :

ورث بولس في صباه ثروة طائلة ولكن صهره حسده عليها ، فلما خاف بولس أنه يشيء به صهره لدى السلطات بأنه مسيحي ، هرب الى الصحراء . وجاء الى كهف يؤدي الى فضاء خلفي ووجد هناك طعاما وشرابا ، فعرف أن الله قاده الى هناك فعزم على البقاء وظل في الصحراء الى أن مات وعمره ١١٣ سنة .

معرفة أنطونيوس ببولس :

بعد ذلك ارتبطت قصة بولس الطيبي بقصة أنطونيوس فبعد أن قضى هذا الأخير مدة طويلة كراهب ظانا في نفسه أنه أول وأعظم شخصية رهبانية ، جاءه اعلان بأن هناك من سبقه الى هذا العمل ، ولذلك قام ليفتش على هذا الانسان .

أنطونيوس وبولس معا — موت بولس :

بعد رحلة طويلة مملوءة بالمشقات والمخاطر وصل أنطونيوس الى مدخل مسكن بولس . فلما رآه بولس قفل الباب في وجهه ، ولكن أنطونيوس بدأ يرجوه ويتوسل اليه أن يفتح له الباب فلما فعل ذلك تعانق الشيخان . وبينما هما يتحادثان نزل عليهما غراب ومعه رغيف من الخبز فقال بولس " ها هو الله أرسل لنا غذاءنا " . الله الرحيم الشفوق . ولقد مكثت ستين سنة هنا وأنا أكل نصف رغيف يوميا ولكن بمجيئك أنت ضاعف المسيح الطعام " وعندئذ تجادل القديسان عن يكسر الرغيف ولكنهما استطاعا أن يتفقا على الحل حبيا . وعندما انتهيا من طعامهما استأذن بولس في أنه يحتاج الى رداء خاص من دير أنطونيوس . وطلب من أنطونيوس أن يحضره ، أما حقيقة الأمر فإن بولس عرف أن ساعة موته قد اقتربت فأراد أن يجنب أنطونيوس مرارة الموقف . وعندما رجع أنطونيوس بالرداء كان بولس قد رقد ، فلف أنطونيوس جسده بالرداء وحمله الى الخارج ليدفنه ، ولكنه تحير كيف يحفر القبر ، ولكن فجأة جاء أسدان يجريان من الصحراء وانحنيا أمام الجسد ثم حفرا قبراً بمخالبهما . وبعد أن تركا المكان دفن أنطونيوس جسد بولس ثم رجع الى الدير بعد أن أخذ معه رداء بولس المصنوع من الياف النخيل والذي كان

يلبسه بولس دائما (ترجمة هيلين وادل Helen Waddell, The Desert Fathers, pp. 41-53) •

قصة أثناسيوس عن أنطونيوس :

أما القصة الكاملة عن أنطونيوس فقد كتبها أثناسيوس في أثناء إقامته الطويلة في الصحراء سنة ٣٥٦ م • ومع أننا لانستطيع أن نجزم بصحة كل تفاصيلها إلا أن معظم المؤرخين قبلوا حقائقها الأساسية★

أنطونيوس يبيع الكل :

ولد أنطونيوس في مدينة الكوم في مصر الوسطى لأبوين ثريين • وفي سن العشرين سمع صوت يسوع في أثناء العبادة يقول له " أن أردت تكون كاملا فاذهب وبع أملاكك وتعال اتبعنى " (مت ١٩ : ٢١) ولم يتردد أنطونيوس في بيع ما يملك ، وتوزيع كل ثروته على الفقراء ولم يبق الا مبلغا لأخته الصغيرة ثم حول ظهره للعالم كله •

تجربة أنطونيوس الأولى :

وكانت الخطوة الثانية أن ذهب وعاش مع رجل عجوز يحيا حياة الزهد ، فهذا الأخير أرشده ووجهه الى خطواته الأولى في حياة الرهبنة • في أثناء هذه الفترة واجه أنطونيوس تجربته الأولى : " فقد ذكره الشيطان بالملكات التى تركها ، والرعاية التى كانت أخته تحتاج اليها منه ، وكبرياء الحسب والنسب ومحبة المال ، اللذات الحسية التى كانت تزخر بها الحياة • ومن الناحية الأخرى أظهر له الصعاب الفائقة والمخاطر التى عليه أن يواجهها فى سعيه وراء الفضيلة ثم ضعف الجسد والسنوات الطويلة التى سوف يعيشها على هذه الحالة وبالاختصار فقد ملأ عقله بسحابة سوداء من الأفكار " (من كتاب حياة أنطونيوس بقلم أثناسيوس) •

★ من المعلوم أن أنطونيوس وأثناسيوس كانا صديقين ، يعجب أحدهما بالآخر • ولكن من المؤكد أن أثناسيوس كان يكتب باليونانية ومن المحتمل أنه كان يجهل القبطية التى لم يكن أنطونيوس يعرف سواها هذا الاختلاف اللغوى قد يكون له بعض الأثر فى دقة ماكتبه أثناسيوس •

أنطونيوس يذهب الى الصحراء :

بعد مضي الوقت انتقل أنطونيوس الى الصحراء وسكن في قبر مهجور
واتفق مع أحد الأصدقاء على أن يحضر له خبزا بين الحين والآخر ، وبجانب
ذلك فقد انقطع تماما عن العالم ، لأن حياته امتلأت بالصوم والصلاة :
" أحيانا كان يمضي الليل كله دون أن تغمض عيناه ، ولم يأكل أكثر من مرة
واحدة في اليوم أو كل يومين ولم يكن طعامه سوى الخبز والملح والماء • ولما
كان يزيد أن يستريح قليلا كان فراشه من العيدان المجدولة وكان يلبس قميصا
من الوبر • ولكن في غالب الأحيان كان ينام عاريا على الأرض (أثناسيوس :
حياة أنطونيوس) •

الشياطين تهاجم أنطونيوس :

الى جانب متاعبه الجسيمة وانقطاعه عن العالم والجنس البشري
ووحده القاسية ، واجه أنطونيوس حربا حقيقية من شياطين العالم السفلي
كلها • هذه العصابة الجهنمية قامت بعمل ضجيج صاخب حتى ان مسكن
أنطونيوس كان يهتز من أصواتها • وعندما كانت تنفتح ثغرات في حوائط
صومعته كانت الشياطين تندفع الى الداخل وهي تتقمص أجساد أنواع كثيرة من
الوحوش والحيات وتملأ مكانه بأشباح الأسود والدببة والضباع والثيران
، الذئاب والأفاعى والعقارب • • الخ وكل واحد منها يصرخ بطريقته الخاصة •
فالأسد كان يزأر كأنه يريد أن يفترسه والثيران تهاجمه وكأنها تريد أن تمزقه ،
والذئاب تثب في وجهه والحيات تزحف على الأرض لتلدغه • • الخ (La
• (Carriere, Jacques, The God - possessed, p. 61.

أنطونيوس يعيش في حصن روماني لمدة ٢٠ سنة :

بعد أن تحمل هذه كلها لعدة شهور ، تقدم أنطونيوس الى العمق
الشرقي في الصحراء فوجد هناك حصنا رومانيا مهجورا فجعل منه بيته الرهباني
الثاني • (بالقرب من بسبير وهي مكان دير الميمون الحالي) • ومكث هناك
عشرين سنة دون أن يتركه أو يرى من كانوا يأتون لزيارته • وكان في الحصن
بئر ماء وكانت مؤونته من الخبز تأتيه مرتين في السنة • ولم يكن ينام سوى
ساعتين أو ثلاث ساعات كل ليلة • واستمر كفاحه ضد الشياطين حيث كان
يسعى نحو هدف الكمال الروحي •

أنطونيوس يرحب بالزائرين :

وأخيرا أحس أنطونيوس أنه قادر على أن يواجه العالم الخارجى وبدأ يتكلم مع الذين كانوا يتجمعون على بابه • ولأول مرة " رآه خارج حصنه ، الذين جاءوا لزيارته وقد امتلأوا دهشة عندما رأوه متمتعا بكامل الصحة التى تمتع بها دائما ••• وجهه لم يتغير وهدوءه وصفاء ذهنه لم يذهبا ، وكان سلوكه متزنا وطبيعيا " (أثناسيوس : حياة أنطونيوس) •

أنطونيوس يقبل تلاميذ له :

فى ذلك الوقت (حوالى عام ٣٠٥ م) بدأ أنطونيوس تكوين جماعته من المتوحدين ، ولم يكن تكوينهم ديرا بالمعنى المعروف ولكن جماعة من الرهبان يعيش كل منهم بمفرده ولكنهم قريبون من بعضهم البعض • وكانوا يجتمعون معا كل يوم أحد لاقامة القداس ولسماع تعاليم معلمهم أنطونيوس – وانتشرت شهرة أنطونيوس فى طول البلاد وعرضها حتى ان الناس كانوا يتزاحمون على باب مغارته ويبيتون الليالى هناك منتظرين بركة منه أو الشفاء من بعض الأمراض •

أنطونيوس ينتقل الى القلزم :

وعندما صار تزاحم الناس عليه ، مصدر متاعب له ، بدأ أنطونيوس يفتش عن مكان له " لايعرفه فيه انسان " فبدأ يسير نحو الشرق فى صحبة جماعة من البدو الى أن وصل الى القلزم وهو الجبل الذى يعرف حاليا باسم جبل الجلالة المشرف على خليج السويس • وهناك قضى أنطونيوس بقية حياته فى مغارة فى الجبل وسمح لتلاميذه أن يكونوا قريبين منه ولكنه رفض أن يقابل أى زائر • ولم يترك صومعته الا مرة واحدة حيث زار الاسكندرية لكى يساند أثناسيوس فى كفاحه ضد الأريوسيين • رجع الى الجبل والوحدة والصمت •

أنطونيوس تباركه الملائكة :

كانت حياته فى الستين سنة الأخيرة من عمره على العكس تماما من اختبارات الماضي " فبعد انتصاره على الشر ، عاش حياة ملائكية فاضلة وانقلبت حياته الأولى الى العكس تماما فالظلمة صارت نورا ، والتجارب تحولت

الى معجزات والشياطين تركوا المكان للملائكة ، حتى الحيوانات المفترسة
التي أرسلها الشيطان قبلا الى القبر الذي كان يعيش فيه في " الكوم " ، صارت
في القلزم الصديق الوديع له في حياته اليومية . . . حتى المساء امتلا بالرؤى
الملائكية ، وأحيانا كان يرى نفسه وقد حملته الملائكة " (Le Carriere, op. cit. pp. 65-66.)

موت أنطونيوس :

وعلى ذلك الجبل وفي حالة مجيدة من الكمال وكأنه يرجع كادم الى
الفردوس . لقد ترك أشياء العالم قبل أن يموت بوقت طويل . وفي ١٨ يناير
عام ٣٥٦م عندما كان يناهز ١٠٥ سنوات من العمر شعر بدنو الموت فأعطى
هذه الأوامر للتلميذين اللذين يخدمانه : " اعطيا فروة الغنم التي أنا راقد
عليها لأثناسيوس الأسقف فقد أحضرها لي عندما كانت جديدة . . . ثم خذا
قميص الشعر الذي ألبسه (وكان هذا كل ما يملكه) . وداعا يا من أحببتكما
كثيرا ، لأن أنطونيوس ذاهب ولن يبقى معكما بعد في العالم " ثم مد ساقيه
قليلا ونظر مبتهجا الى الموت " ثم دفنه تلميذاه في مكان سرى غير معروف كما
أمرهما (John Foster, Church History, I, The Ist. Advance, p. 148.)

١٠ - المتوحدون في وادي النطرون

كانت هناك حركة رهبنة أخرى موازية لرهبة أنطونيوس تتخذ مكانها في
وادي النطرون غربا . في هذا المكان كان المتوحدون يكونون جماعات ،
يعيشون كأفراد ولكنهم يجتمعون مرة واحدة للعبادة كل أسبوع وهذا خلق
احساسا جزئيا بالجماعة وكان يتكون منهم نوع من " السنهدريم " لمعاقبة
المسيء الى حياة الزهد . وكان الرهبان يكسبون معيشتهم البسيطة من جدل
السعف وعمل الحصر التي تباع في المدن . ولكن أهم شيء نذكره لهم هو أنه
من هذه الجماعة الناشئة وصلتنا مجموعة من أقوال الآباء أو ما يسمى " الأقوال
المأثورة " (Apopthegmata) والتي تعطينا أصدق القصص وأكثرها حيوية
عما كانت عليه الحياة في وادي النطرون " (انظر ترجمة انجليزية لذلك

عملها (Budge E. A. W.) وهى (The Wit and Wisdom of The
• (Christian Fathers of, Egypt, Oxford, 1934.

١١ - مقاريوس (Macarius)

مقاريوس المتوحد المثالى :

كان مقاريوس بدون شك أعظم راهب متوحد بعد أنطونيوس • وقد كتب
عنه أحد مؤرخى حياته قائلا : المصباح المضى الروحى العظيم (الذى ألهمه
الله) ، رئيس رهبان جبل الاسقيط المقدس ، مقاريوس (" والكلمة يونانية
تعنى مبارك ") ويقدم لوكارييز (فى كتابه السابق ص ١١٨) وصفا له
فيقول : " على وجه الزاهد الذى أحرقتة الشمس وجففته الرياح يغطيه برقع
من الشعر الطويل ، لم يكن يبدو حزن ولا فرح أى شئ يذكر بأن هذا الرجل
يخضع للعوامل البشرية والرغبات ، ولكن على العكس من ذلك ، كان يتمتع
بهدوء النفس وصمت القلب والعقل الذى لا يبلغه الا المتوحد الذى يقضى
سنوات فى الصلاة والصوم " •

مقاريوس لايبالى بالعالم :

كتب سرابيون باللغة القبطية وأعطانا تفاصيل كثيرة عن حياة مقاريوس
الصارمة ، لقد أجبره أبواه على الزواج من فتاة من قريته ، ولكنه لم يقترب
منها كزوج • وبعد مدة عندما كان يحيا وحيدا اتهم زورا بأنه كان السبب فى
حمل امرأة أخرى ولكن مقاريوس لم يبال بالاتهامات التى وجهت اليه •
وعندما اعترفت المرأة بأنها اتهمته زورا ، لم يبال بذلك أيضا • ومرة أخرى
أظهر عدم مبالاته بمعايير العالم عندما رأى بعض اللصوص يعبثون بمكان
وحدته ، فقد ساعدهم فى وضع المسروقات على الجمل بل انه جرى وراءهم
بزوج من الأحذية (الصندل) كانوا قد نسوه وراءهم •

صرامة مقاريوس الفائقة :

لقد سار مقاريوس بقيادة واحد من الكروبيم الذين لهم ستة أجنحة ،
الى صحراء الاسقيط (Skete) غرب الدلتا ، وهناك حفر كهفا لنفسه وعمل

فراشا من العيدان وحفر بئر ماء • ولقد أزعجته الشياطين الذين تقمصوا أشكالا كثيرة وأصدروا أصواتا مزعجة • وهناك تجمع حوله شبان كثيرون يريدون أن يكونوا تلاميذه ، ولكنه شعر أنه لم ينضج بعد ليكون مرشدا لهم ، فترك الاسقيط وذهب الى أنطونيوس فى القلزم وتلمذ عليه • وبعد أن مات أنطونيوس رجع مقاريوس الى الاسقيط وعاش فيها حتى مات ٣٩٠ م • ولقد ذكر لواحد من أتباعه : " لقد قضيت سنة فى هذه الصحراء أقاسى من الجوع والعطش وعدم النوم لأنى لم آكل الا قليلا من الخبز كل يوم • وكنت أقيس ما شربه من الماء كل يوم ، وظهرى مسند الى الحائط كنت أختلس قليلا من النوم يوميا " • " ولكن تجاربه مع الشياطين ازدادت فقد أزعجهم أن يروا العدد الكبير من النفوس التى خلصت على يديه ، فبدأوا يزورونه فى الظهر عندما يكون وحيدا فيقفون حوله ككلاب كثيرة يبصقون على وجهه يمزقون جسده حتى اصطبغ جسده كله بالزرقة والسواد (ليكاريير ص ١٢١) أما هو فقد أجبر نفسه على القيام بأعمال غير عادية للوصول الى الكمال الروحي • فقد ظل سبع سنوات لا يأكل الا الخضروات الفجة وامتنع عن أكل الخبز لمدة ٣ سنوات ومكث يقظا لمدة ٢٠ ليلة متواصلة وعرض جسده للبعوض الشرس لمدة ٧ أشهر ولما رجع الى صومعته ظنه الناس أنه أبرص لأنه كان مشوها لحد بعيد •

مقاريوس يذهب الى طيبانيزى (Tabbanisi)

وكان أشهر عمل بطولى قام به مقاريوس هو ذهابه متخفيا الى دير طيبانيزى الذى كان يرأسه باخوميوس • فقد قبلوه فى الدير أما هو فبدأ يتفوق على كل الرهبان فى انكار الذات • فمكث سبع سنوات لا يأكل طعاما مطبوخا بل اكتفى بالأعشاب الجافة وقدم لهم طريقة غريبة لأكل الخبز اذ كان لايزيد نصيبه منه عما يمكن أن يستخرجه بأصابعه من جرة ذات فتحة ضيقة وهكذا ظل يأكل كل يوم أربع أو خمس أوقيات من الخبز يغمسها فى قليل من الزيت أو الماء • وفى أثناء الصيام الكبير اتبع مقاريوس نظاما خاصا : " فكان يقف فى ركن من صومعته كل أيام الصوم دون أن يجلس أو يركع أو يستند على أى شئ وبدون أن يأكل فتاتة من الخبز أو يشرب نقطة من الماء • وقنع فقط بأن يأكل بعض أوراق الكرنب يوم الأحد حتى يظهر أمام الرهبان بأنه يأكل شيئا " • خاف رهبان دير طيبانيزى منه أولا ولكن عندما عرفوه احتراموه • وبعد ذلك رجع مقاريوس الى صومعته فى وادى النطرون وعاش هناك الى أن مات فى التسعين من عمره •

١٢ - منطق الرهبنة

آلام وبركة :

مع أنه من السهولة أن نعرف الهدف الذى قصده الرهبان من زهدهم هذا ، الا أن تأثير ذلك على تفكيرهم وحياتهم كان عنيفا • كانوا يؤمنون أن الانسان يجب أن يتألم فى الأرض ليربح الحياة الأبدية ووضعوا ذلك فى معادلة بسيطة . على قدر ماتقاسى من ألم فى الأرض على قدر ماتجد من بركة ، والعكس صحيح فمن يعيش حياة سهلة سيكون عذابه فى الآخرة عظيما •

الرهبان والشيطان :

عندما يبدأ الراهب الناسك حياته على هذا الأساس محاولا بكل اخلاص أن يتم رحلته الى نهايتها وبذلك يدخل فى اختبار يختلف اختلافا جذريا عن سائر البشر • فمن ناحية ينظر الراهب الى الشيطان على أنه العدو الأول الذى يحاول بكل الوسائل أن يحطم ارادته ، وعلى ذلك فيجب أن يهزمه بالتمادى فى انكار الذات الى النهاية ، ولهذا كان الشيطان لهم حقيقة واضحة ولموسة يستطيعون أن يروا وجهه ويعرفوا كيف تعيش جماعته من الأرواح الشريرة وماذا يأكلون وما هو مظهرهم • الخ فأحيانا يتحولون الى تماسيح أو حيات وأحيانا يظهرون ونصفهم على شكل انسان والنصف الآخر على شكل حيوان • (والشواهد على ذلك ما نراه من رسومات على حوائط الآثار المصرية القديمة) • وأحيانا يتخذ الشيطان صورة ملاك نور لكى يخدع الراهب المسيحى أحيانا • وهذا أخطر الأمور يتحول الشيطان الى شكل الراهب نفسه فيرى الراهب الشيطان متقمصا جسمه هو وصورة وجهه • وعلى أى شكل يظهر الشيطان للراهب فان هدفه من هذا الظهور هو اخافته وارهابه واضعافه أو اغوائه بالجمال والشهوة حتى ينسى كل نذوره التى اتخذها على نفسه ليحيا حياة نقية •

الرهبان والملائكة :

لكن من الناحية الأخرى كانت تأتى الملائكة لزيارة الراهب لمكافأته على أمانته رغم اضطهادات الشيطان ، وللعمل على تقويته فواجب الملائكة

أن تحرس الأمناء وأن تسجل تقدمهم أو تأخرهم • وأن تحمل لهم رسائل من الله نفسه • وكان الناس يعتقدون أن عدد الملائكة كبير بقدر عدد الشياطين وهم من الكثرة بحيث يستطيعون أن يحجبوا الشمس • وعندما يظهرون كانوا يظهرون بهيئات مختلفة حسب العمل الذى أنيط بهم ، فمنهم الجندي الذى يظهر بسيفه ، وبعضهم بأجنحة وبعضهم يظهر فى شكل البشر • يأتون ليحرسوا الراهب وليقدموا له ما يحتاج اليه فى كل ساعاته ويواجهوا معه كل أزمة فى رحلته الروحية •

الرهبان والحيوانات :

سبق أن لاحظنا دور الحيوانات فى خدمة الرهبان ، فقرأنا عن الغربان التى أحضرت الخبز للراهبين بولس وأنطونيوس • والأسود التى ساعدت أنطونيوس فى دفن بولس كثيرا ما صارت الوحوش المفترسة مثل التمساح والتنين والأسد هادئة الطباع ، مطيعة ومحبة فتتحول طبيعتها الوحشية الى مستأنسة • فقد جاء فى احدى القصص أن أسدا خدم أحد الرهبان لمدة خمس سنوات وكان يحضر له ماء من النهر وفى يوم وفاة الراهب لم يتحمل الأسد الحزن على رحيل صديقه فألقى بنفسه على قبره ومات هناك •

الرهبان يعملون المعجزات :

ولقد وهب الرهبان القدرة على عمل المعجزات • وقد وصلتنا قصص كثيرة عن شفاء أمراض واقامة موتى والسير على الماء • • وماشابه ذلك • وبعض الرهبان أعطوا قوة " الربط " اذ كان يمكنه أن يوقف شخصا يسير فى طريقه فيقول الراهب كلمة فيجمد ذلك الشخص فى مكانه لايمكنه الا بكلمة أخرى من الراهب • وعرف عن بعضهم أنه كان يرتفع أو يطير فى الهواء وبعضهم كان يسير مسيرة أسبوع فى ليلة واحدة • وهناك قصص غريبة عن رهبان أحيوا موتى ليعرفوا منهم بعض المعلومات فيقال ان مقاريوس أحيى قتيلا لكى يزيل التهمة عن انسان اتهم زورا بقتله • ولما طلبوا منه أن يسأله عن اسم من قتله ، أجابهم مقاريوس قائلا : " أنا لن أفعل ذلك ، يكفينى أن أبرئ متهما بريئا دون أن أكشف عن اسم القاتل " من الغريب أيضا أن مقاريوس لم يهتم بابقاء القاتيل حيا ، بل حالما عرف منه المعلومات ، تركه يموت (حياة مقاريوس الشيخ سجلها لكاريريير الكتاب السابق ص ١٩٩) •

الرهبان أناس فوق الطبيعة :

من كل ماسبق نعرف أن الرهبان عاشوا في الصحراء حياة تفوق حياة البشر العاديين • انهم مقدمة للانسان الجديد الذى نادت به الأناجيل ... فجسد الراهب جسد مقدس لا يخضع للقوانين الأرضية وأصبح جسده جسداً جديداً له " الطبيعة الالهية " وهم جماعة في طريقها الى الحالة الملائكية (لكاريير : الكتاب السابق ص ٢٠٣) •

انكار الذات عند الرهبان :

ويستحسن أيضا أن نذكر بعض الأمثلة عن تقوى الرهبان وانكارهم لذواتهم • ويخبرنا " روفينس أكيليا " (Rufinus Aquileia) في ترجمة لكتاب : تاريخ رهبان مصر ، قصة عن مقاريوس " يوما ما أحضر ، حد الاخوة كمية من العنب الى القديس مقاريوس • ولكن هذا القديس المحب لم يفكر في نفسه ولكن في الآخرين ، فحمل هذا العنب الى راهب آخر كان أكثر ضعفاً منه • فشكر الراهب المريض الله لأجل رحمة أخيه به ، ولكنه فكر في جيرانه أكثر من نفسه فحمل العنب الى شخص آخر ، وهذا لشخص رابع وهكذا انتقلت هذه الكمية من العنب الى كل الصوامع ولم يعلم واحد منهم من أرسلها أولاً حتى وصلت أخيراً الى الشخص الأول • فشكر القديس مقاريوس الله على ما رأى من محبة اخوته وشفقتهم على الآخرين وترفعهم عن الرغبات ... " • (سجلها وادل Waddell في كتابه : آباء الصحراء ص ٨٠ Waddell's, The Desert Fathers, p. 80.) •

الرهبان والكبرياء الروحي :

ومن الناحية الأخرى كان الرهبان مشغولين بمشكلة الكبرياء الروحي الذى يظهر في حياتهم نتيجة لتضحياتهم الكثيرة • ولأجل هذا السبب نفسه أكل مقاريوس بعض أوراق الكرنب في أثناء الصيام الطويل الذى كان يمارسه لا لأنه كان يحتاج اليه ، أو لأنه اشتهاه ، بل لكي يتجنب التفاخر والكبرياء الروحي •

وفي رواية أخرى عن بعض المتوحدين أنهم وضعوا لأنفسهم نظاماً بأن يأكل الواحد منهم سبع حبات من الزيتون لا أكثر ولا أقل كل يوم • فاذا أكل

أحدهم ثمانى حبات اعتبر أنه سقط فى خطية الجشع أما اذا أكل ست أو خمس حبات فانه يعتبر نفسه معرضا لخطية الكبرياء الروحى •

الرهبان يساعدون الآخرين :

يظن البعض أن الرهبان المتوحدين لم يكن لديهم عمل سوى التأمل فى الله والوصول الى الكمال الروحى فى التقوى الشخصية ، ولكن الأمر بخلاف ذلك فانهم كانوا يساعدون المجتمع الأكبر فى الأمور الروحية والزمنية فقد كان الناس يتجمعون حول صوامعهم لمدة أيام منتظرين حصولهم على بركة من الراهب حتى ولو رأوه مجرد الرؤية وكانوا يأتون بالمرضى ليشفوا وكانوا يسألونهم الصلاة لأجلهم والنصح فى بعض مشاكلهم الخاصة • ولو عجزوا عن المجيء بأنفسهم كانوا يرسلون لهم الخطابات وها هى صورة خطاب أرسل الى أحد الرهبان اسمه " بافنوتىوس " (Paphnutius) الى الأب المحبوب والنقى والعزيز على قلب الله بافنوتىوس أمونيوس : تحية فى الرب الاله • أنا أعرف دائما أنه بقوة صلاتكم سينجيني الرب من كل تجارب الشرير ومن كل خداع الانسان • فأرجوك أن تذكرنى فى صلواتك المقدسة لأنك أنت - بعد الله - خلاصى • أصلى أن تظل فى صحة جيدة سنوات طويلة يا أحب أب وليحفظك اله السلام لعمر طويل (اقتبسها ادريس بل فى كتابه : يهود ومسيحيون فى مصر ١٩٢٤ ص ١٠٤) • (H.Idris Bell, Jews and Christians in Egypt, 1924. p. 104.) •

١٣ - باخوميوس وأديرة الرهبان

جماعة الأديرة :

كان مؤسس رهبنة المتوحدين (الذين يسكنون فى صوامعهم منفردين) هو أنطونيوس • أما باخوميوس الطيبى فقد بدأ نظام الرهبان الذين يعيشون فى جماعات (Cenobite) • لاينكر أحد أن الرهبان المتوحدين كانوا يحيون أحيانا فى مجموعات تسمى " اللورا " (Lauras) • ومع ذلك فكل راهب كان يعيش مستقلا عن جيرانه بل أحيانا كانت تفصل مسافة كبيرة بين

صومعة وأخرى • أما كلمة " سنوبيت " (Cenobite) فتعنى المعيشة معا فى جماعات • والنظام الذى ظهر بقيادة باخوميوس كان نظاما جماعيا ، فكون أول جماعة رهبانية منظمة فى تاريخ المسيحية ، وهذا الشكل من الرهبنة هو الذى انتشر خارج مصر وبخاصة فى أوروبا وازدهر فى العصور الوسطى فى أديرة البندكتيين والدمنيكانيين والفرنسيسكان والجزويت والكرمليين وغيرهم من جماعات الكنيسة الكاثوليكية • وفى الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية اعتبر الرهبان " الباسيلييين " (Basilian) كجماعة جبل أُنُوس فى اليونان جماعات رهبانية يحيون حياة جماعية •

جماعة آمون :

كان آمون أول من عرف قيمة الرهبانية الجماعية وكان هذا الرجل صديقا لأنطونيوس وبعد أن عاش متزوجا مدة ١٨ سنة ، ترك زوجته ليحيا حياة الرهبنة فى وادى النطرون وجمع حوله الآلاف من الرهبان الذين ظلوا يحيون حياة المتوحدين ولكنهم كانوا يرتبطون ببعضهم البعض بطرق كثيرة كاجتماعهم للعبادة يومى السبت والأحد حيث كان يقوم بخدمتهم ، الكهنة ، تحت اشراف أسقف هرموبوليس أما التطوير الكامل للرهبنة الجماعية فلم يكن معروفا قبل باخوميوس •

حياة باخوميوس المبكرة (٢٨٧م – ٣٤٦م) :

ولد باخوميوس لأبوين وثنيين : وعندما جند فى الجيش الرومانى تأثر بشدة بمسيحي طبيه وتعمد فى شينوبوسكيون (Chenoboskion) (بالقرب من نجع حمادى الحالية) وعزم على أن يحيا حياة الزهد وكان بلامون (Palomon) معلم يعلمه الصيام والصلاة والطاعة • ولكى يوجد التوازن فى حياتهم ، بدأ الرهبان ينسجون قماش " الخيش " ليبيعوه ويكسبوا قوتهم • وفى يوم ما بينما كان باخوميوس يصلّى فى طيبانيزى (Tabennisi) سمع صوتا يقول : " أمكث هنا وابن ديرا لأن كثيرين سيجتئون حولك ليصبحوا رهبانا " ولما مات معلمه " بلامون " جاء الى باخوميوس الكثيرون ليشاركوه أسلوب حياته •

النظام الباخومى :

عرف باخوميوس أن قيما جديدة يمكن أن تظهر فى حياة الرهبنة اذا

اجتمع الرهبان فى شركة*، تحكم حياتهم فيها بعض القوانين • ومن كتابات جيروم (Pachomiana Latina) نعرف شيئاً عن النظام الباخومى •

الدخول الى الدير :

كان من يرغب أن يلتحق بالدير يوضع أولاً فى القسم المخصص للزوار بجوار بوابة الدير • وهناك يفحص بكل تدقيق من جهة حياته الروحية والدوافع التى جعلته يختار الرهبنة • ثم يتعلم الصلاة الرهبانية وبعض المزامير • فاذا حاز القبول فانهم يعلمونه قوانين الرهبنة يلبسونه ملابس الرهبان • وكان أحد الشروط الأساسية أن يعرف الراهب القراءة والكتابة • ولانسمع شيئاً عن قطع " نزر " ، بل كانوا يقبلون فى شركة الرهبنة مع الآخرين تحت القوانين الموضوعة للنظام •

حياة الراهب وملابسه :

كان الرهبان يعيشون معا فى جماعات فى بيوت ، وكل واحد فى صومعته التى لايمكن قفل بابها • وكانوا يعطون كل واحد قميصين الى جانب آخر يلبسه فى وقت العمل ، وقطعة من الكتان لتحمى رأسه وكتفيه من الشمس وعباءة من جلد الماعز وزوجاً من الأحذية وغطاءين للرأس ومنطقة وعصا •

العمل اليدوى :

وكان لكل بيت رئيسه الذى يعين لكل راهب عمله • وكل واحد منهم كان يجب أن يقوم ببعض الأعمال اليدوية فكانوا يجدلون الحصر وينسجون الكتان وكان البعض منهم خياطين وبعضهم نجارين وبعضهم صانعى أحذية • وفى بعض المواسم كانوا يذهبون جميعهم للحقول ، اما للزراع او للحصاد • وكان الراهب يقوم بواجبه بمفرده فى صومعته اذا أمكنه ذلك وكانوا يقسمون على أن يعيشوا فى صمت وألا يزور أحدهم الآخر حتى عند تناول الطعام كانوا ممنوعين من الكلام وكان كل راهب يجلس ورأسه مغطى واذا دعت الضرورة الى الحديث فكانوا يستخدمون الكتب المقدسة أو أقوال الآباء التى كانوا يحفظونها عن ظهر قلب •

العبادة :

كانت كل جماعة تسكن في بيت واحد تجتمع مرتين يوميا للعبادة مرة في الصباح الباكر وأخرى في المساء وكانوا يقرأون بعض المزامير المحددة والصلاة . وكان مطلوبا من كل راهب أن يقضى بضع ساعات من كل يوم في التأمل والصلاة وقراءة الكتاب المقدس . أما أيام الأربعاء والجمعة فكانت أيام الصوم ومنها يعلم رئيس كل بيت متى معجم بعض عقائد الكنيسة . وفي مساء كل سبت وصباح كل أحد كان المقيمون في الدير يجتمعون مغادرا للعبادة وفي الصباح كان أحد كان واحد من كهنة البلاد المجاورة يأتي اليهم لكي يقوم بهم بالخدمة والشركة المقدسة .

الساعات المخصصة للصلاة :

كان الناس في كنائس المدن يصلون مرتين في اليوم مرة في الصباح وأخرى في الغروب ، أما الرهبان فقد كان برنامج صلواتهم يغطي الأربع والعشرين ساعة فيها تقسم الى سبعة أوقات للصلاة . ويذكرها يوحنا كاسيان (J Cassian) كالآتي :

٣ أقسام النهار :	٤ أقسام الليل :
الصبح	الغروب
الظهر	النوم
العصر	نصف الليل
	الفجر

وكانت هذه العبادات بالإضافة الى القداس والصلوات المرتبة تشمل أيضا على قراءة بعض المزامير التي بجانب أصحاب من كلا العهدين القديم والجديد .

هدف حياة العبادة :

إن الهدف الاسمي لحياة الرهبنة وهي حياة الكمال يمكن أن يضل اليه الراغب في التركيز الكلي على أمور الله وكانت الصلاة هي أداة الوصول الى هذا الهدف . فالوسيلة الوحيدة للانتصار على الشيطان هي ان تصلي بلا انقطاع " وهكذا فعلوا مرددين عبارة " يارب ارحم " " كيرياليصون " وبعض

أعداد من الكتاب المقدس في كل ساعات يقظتهم . أو يحفظون عن ظهر قلب عددًا وافرا من الصلوات ويرددونها طيلة النهار . وبلغ الأمر أن أحد الرهبان حفظ ٣٠٠ صلاة . ولكي يتأكد من أنه قالها كلها ، كان يسقط حصة كلما قال واحدة منها . ولكن هذا الراهب نفسه أصابه اليأس عندما علم أن أجدي الراهبات في القرى المجاورة كانت تصلى ٧٠٠ صلاة .

العقوبات :

وعندما كانت تحدث أخطاء مثل كسر قانون الضمت أو النوم في أثناء العبادة كانت توقع عقوبات ، فقد يحرم الراهب من وجبة طعام أو يعطى الخبز والماء فقط أو يجبر على الوقوف في أثناء العبادة بينما يجلس اخوته . ولكن العقاب الذي كان أكثر شيوعاً فهو أن يقف المذنب أمام كل الجماعة ليوبخه الرئيس . ونادراً ما كان الراهب يقترب ذنباً ضخماً يستدعى أن يضرب على مرأى من اخوته .

انتشار الرهبنة في منطقة طيبة :

في مدة ٢٠ سنة فقط انتشرت حركة باخوميوس بسرعة غريبة في المناطق المجاورة لاقليم طيبة فأصبح هناك ٩ أديرة للرهبان وديران للراهبات ووصل العدد الى آلاف ويذكرون أن الدير المركزي كان به أكثر من ١٤٠٠ راهب . وكانت كل الأديرة تجتمع معا مرتين في السنة ، عند عيد القيامة ويوم ١٣ أغسطس ويرأسها باخوميوس . وكانوا يدرسون أموراً روحية وإدارية ومالية ويأخذون عدة قرارات .

انتشار الأديرة في مصر :

وانتشرت الأديرة في كل القطر نتيجة لما قام به باخوميوس . ويقولون انه في قرية أوكسيرهنكوس (Oxyrhynchos - el Behnesa) زاد عدد الرهبان عن عدد السكان وقيل ان عدد الرهبان كان ١٠٠٠٠ رجل والراهبات كن ٢٠٠٠ وبدأت الأديرة تتزايد داخل أسوار المدينة حتى اضطروا الى بناء مدينة جديدة للدير لكي تتسع لكل هذه الأعداد . وبلغ عدد مجموعات الأديرة في الصعيد ٤٩٠ مجموعة وكل مجموعة كانت تتكون من عدة أديرة للرهبان وأخرى للراهبات .

الأديرة ساعدت الكنيسة ضد الهرطقات :

ومع أن الأديرة كانت حركة خارج دائرة الكنيسة • إلا أن كل الأديرة كانت تدين بالولاء لبطريك الاسكندرية • ولقد عرفنا العلاقة التي كانت بين أثناسيوس وأنطونيوس وكان باخوميوس خاضعا لأثناسيوس ولقد استقبله الرهبان بالترحاب عندما رجع من أسره في روما عام ٣٤٦ م • ولقد وجد أثناسيوس في طيبة وأديرتها ملجأ آمنا في أثناء حكم جوليان المرتد (٣٦١ م – ٣٦٣ م) وظل الرهبان مخلصين في عداوتهم للهراطقة بالرغم من ضعف ادراكهم للمباحثات اللاهوتية في القرنين الرابع والخامس • ولقد وقف الراهب شنوده الذي خلف باخوميوس بحزم وراء أساقفة الاسكندرية وبذلك كان له الفضل في تحديد ماهية الأرثوذكسية بل وفي بقائها في الوجود •

Recommend English Readings

1. Atyia, A. S. *A History of Eastern Christianity*, pp. 59-68.
- 2 Bruce, F. F. *The Spreading Flame*, pp. 342-352.
- 3 Foster, John *Church History I, The First Advance*, pp. 146-149.
4. Frend, W. H. C.- *The Early Church*, pp. 200-209.

5. Johnson Paul,- *A History of Christianity*, pp. 139-141.
6. La Carriere, Jaques *The God Possessed*, 1963, Allen and Unwin, London.
7. Lietzmann, Hans *A History of The Early Church*, Vol. IV . pp. 124-163 .
8. Al Masry , Iris Habib *The Story of The Copts (also in Arabic)*, pp. 53-56, 61-67, 153-155, 161-167.
- 9 Meinardus, Otto F. A. *Monks and Monasteries of the Egyptians Deserts*, 1961 AUC Press, Cairo.
- 10 Waddell Helen *The Desert Fathers*, 1936, Constable and Co., London Also in French and Arabic.
11. Bulletin de *L'Institut des Etudes Coptes*, 1958.
12. *Le Monachisme Copte et la Montagne de Saint Antoine* Par A. L. Fontaine. p. 3 ff.
13. *Le Cult de Sainte Antoine* par p. Sylvestre Chauleur, p.31

APPENDIX I
CHURCH LEADERS DURING THE THIRD CENTURY

Patriarchs Coptic Church		Popes Roman Church	
Demetrius I "The Vinedresser"	199 - 232	Zephyrinus	199 - 217
		Callistus	217 - 222
		Urban I	222 - 230
Heracles	232 - 248	Pontian	230 - 235
		Anderius	235 - 236
		Fabian	236 - 250
Dionysius	249 - 269	Cornelius	251 - 253
		Lucius	253 - 254
		Stephen I	254 - 257
		Seitus II	257 - 258
		Dionysius	259 - 268
Maximus	270 - 282	Felix I	269 - 274
		Eutychian	275 - 283
Theonas	282 - 291	Caius	283 - 296
Peter I "Seal of the Martyrs"	293 - 303	Marcellinus	296 - 304
Achilles	303 - 303		
Alexander I	303 - 325	Marcellus	308 - 309
		Eusebius	309 - 309
		Miltiades	311 - 314
		Sylvester I	314 - 335

APPENDIX II
CHRONOLOGY OF PRINCIPLE EVENTS FROM 212 THROUGH 312 A.D.

Political	Dates	Religious
Caracalla Emperor	212	
	217 - 222	Calixtos Pope — Condemnation of Cebellius
Elagabalus Emperor	218	
Alexander Severus Emperor	222	
Sassanid Dynasty in the Iranian Empire	226	
	231	Origen Ordained Priest
Maximinus Emperor	235	
Gordian III Emperor	238	
	242	Mani Begins Preaching
	247	Dionysius Bishop of Alexandria
Decius Proclaimed Emperor	248	
Decius' Edict of Persecution	249	Cyprian Bishop of Carthage
	251	Cornelius Pope
	252	Death of Origen
Valerian Emperor	253	
	257 - 258	Persecution and Martyrdom of Cyprian
Gallienus sole Emperor	260	Gallienus' Edict of Toleration
	264	Death of Dionysius of Alexandria
	268	Synod of Antioch — Condemnation of Saul of Samosata
Emperor Aurelian Captures Palmyra	272	
	280	Conversion of Tiridates, King of Armenia
Diocletian Emperor	284	
Constantius and Galerius made Caesars in West and East respectively	293	
	297	Edict Against the Manichaeans
	303 - 304	Diocletian's Edict of Persecution
Diocletian Abdicates	305	
Constantine Proclaimed Emperor	306	
	311	Galerius' Edict of Toleration
Battle of Milvian Bridge Constantine the Master of the West	312	Beginning of Donatist Schism

Adapted from: Danielou - Marrou - *The Christian Centuries*, Vol. I, *The First Six Hundred Years*.

هذا الكتاب يصور
تاريخ الكنيسة في
القرنين الأولين ومآلاته
من صعوبات واضطهادات
ومطقات، وكيف
دافعت عن عقيدتها
لتنصر الحق.
تاريخ مجيد بأسلوب
سهل ممتع ومفيد.

